شعارنا و هتافنا

إلى الاسلام من جديد

البعث الاسلامي

العدد الثامن
٢ صفر ١٣٨٨ﻫ

المجلد الثاني عشر
أول مايو ١٩٦٨م

تصدر : في ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

Phone 22948 Regd. No. L. 1692

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwatul Ulama, Lucknow. (India)

صدر حديثا :

الاركان الاربعة

في ضوء الكتاب و السنة

بقلم : سماحة الأستاذ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الأركان الأربعة في ضوء الكتاب و السنة ليس كسائر الكتب التي ألفت في هذا الموضوع ، و إنما هو أول كتاب يشرح أركان الاسلام الأربعة بمثل هذه الدقة والصراحة ، ويبرز وجه الاسلام المشرق وفضله على جميع الأديان بلغة رشيقة و أسلوب واضح مبين .

إن الأستاذ أبا الحسن علي الندوي يتحدث عن هذا الموضوع في ضوء الكتاب و السنة شأن عالم كبير درس الاسلام دراسة عميقة أمينة فرآه حاجة كل عصر و مصر ، و ملجأ كل قرن و جيل .

الكتاب دراسة مقارنة بين الاسلام و الأديان الأخرى .

وحصيلة مطالعات واسعة وتأملات طويلة عاش فيها المؤلف وعكف عليها طوال حياته ، وهو عصارة ما كتبه أئمة الاسلام و حكماء المسلمين الأعلام في هذا الموضوع .

إن هذا الكتاب يستحق أن يكون في يد كل عالم يريد أن يطلع على حقيقة الاسلام الناصعة وتعليماته الخالدة ، وفي يد كل شاب مسلم يريد أن يدرس الاسلام دراسة مقارنة مع الأديان الأخرى ، و في يد كل مثقف يقع فريسة الشكوك و الأوهام حول الاسلام .

الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر بيروت لبنان

Priuted by : S M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW

البعث الإسلامى

شهرية إسلامية جامعة

عنوان الإدارة: البعث الاسلامى ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهـــــند)

هاتف: ٢٩١٧٤ — ٢٢٩٤٨

برقياً: NADWA, LucknoW.

الاشتراكات

فى الهند و باكستان : —

عشر روبيات — ثمن العدد روبية واحدة .

فى العالم العربى : —

(بالبريد العادى) جنيه واحد (استرلينى)

(بالبريد الجوى) جنيهان و نصف (استرلينى)

فى أفريقيا الجنوبية و الشمالية : —

(بالبريد العادى) جنيه واحد (استرلينى)

(بالبريد الجوى) ثلاثة جنيهات ونصف (استرلينى)

مطلوب وكلاء و موزعون فى كل بلد إسلامى و فى المهاجر ، و فى كل قطر شرقياً كان أم غربياً — تعيش فيه الجالية الاسلامية .

- الاشتراكات فى باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » دار العلوم كراچى رقم ١٤ باكستان
- نرجو تزويدنا بآخر مايقع من حوادث و أنباء إسلامية فى الوطن الاسلامى الكبير بأسرع ما يمكن مع وافر الشكر !

وكالات المجلة

- مكتبة المنار — الكويت
- مكتبة الآداب — الرياض السعودية
- مكتبة النور — طرابلس الغرب ليبيا
- المكتب الاسلامى — ص ب ٣٧٧١ بيروت
- مكتبة الثقافة — الدوحة قطر
- مدثرحسين الصديق — الجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية
- الدار السعودية للنشر — ص ب ٢٠٤٣ جده (السعودية)
- الأستاذ محمد الأمين دعاك — كسلا السودان
- مكتبة دارالقلم — بنغازى ليبيا
- مكتبة الحرمين — ص ب ٥١١ الدمام (السعودية)

البعث الإسلامي

العدد الثامن — المجلد الثانى عشر

٢ صفر ١٣٨٨هـ — مايو ١٩٦٨م

رئيس التحرير : محمد الحسني

مدير التحرير : سعيد الأعظمي

موجز الفهرست

- التوجيه الاسلامى — ص ٩
- الدعوة الاسلامية — ص ٣١
- الفقه الاسلامى — ص ٥٦
- دراسات و أبحاث — ص ٧٢
- فى رياض الشعر و الأدب — ص ٨٨
- العـــالم الاسلامى — ص ٩٥

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذى لايتغير و بين العلم النامى الذى لايتحجر ، بين صلابة الحديد فى الثبات على العقيدة ، وبين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة ، فبينما العالم الدينى فى عقيدته و عبادته جبل ثابت ، إذا هو فى علمه ودراسته و تقدمه نهر عذب جار ، و بينما هو فى نصوص الدين و عزائمه مرابط على الثغر و حارس للامانة ، إذا هو فى تفهيمه و دعوته جندى مهاجم و مسلح على أحدث طراز ، و بينما هو فى الأول لا يعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لا يعرف الجمود ؟

محتويات العدد

حسناً ... لقد عرفت الطريق — محمد الحسنى — ٣

التوجيه الاسلامى

صفوة الآثار والمفاهيم . . — فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى — ١٠
الانسان مزيج غريب من الروح والمادة — سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى — ١٦
أين محاضن الجيل المسلم ؟ — الأستاذ يوسف العظم — ٢٢

الدعوة الاسلامية

اجتماعية الأخلاق ودورها فى المجتمع — الدكتور محمد آصف القدوائى — ٣٢
انحطاط المسلمين نتيجة لعقم المتجددين — الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة — ٤١
نظرات فى استراتيجية العمل الاسلامى — الأستاذ توفيق — ٥٠

الفقه الاسلامى

تحديد النسل من وجهة نظر الاسلام — الأستاذ عتيق الرحمن السنبهلى — ٥٨
مبحث تحليلى حول الربا التجارى — الأستاذ فضل الرحمن — ٦٧

دراسات و أبحاث

شبهات « آرنولد » بين الجهل والحقد — الأستاذ سرحان فاضل السامرائى — ٧٣
عبد الرحمن الكواكبى ، حياته ونضاله — الأستاذ أبوبكر الحسنى — ٨٢

فى رياض الشعر و الأدب

الدين والفن فى القصة — الأستاذ الشهيد سيد قطب — ٨٩
نداء .. ورجاء — الأخ سالم باكون — ٩٣

العالم الاسلامى

حول محنة المسلمين فى الحبشة — الأستاذ محمد يونس — ٩٦
أخبار اجتماعية وثقافية — قلم التحرير — ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حسناً ... لقد عرفت الطريق

« كلمة ألقيت فى الحفلة الشهرية للنادى العربى بدار العلوم لندوة العلماء يوم ٢٥ من شهر محرم ١٣٨٨هـ »

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آله و أصحابه أجمعين .

أما بعد فانى أشكركم أيها الاخوة و السادة على هذا الترحيب و التكريم الذى قوبلت به فى هذه المناسبة الكريمة الحبيبة ، و ذلك يعود إلى اريحيتكم الاسلامية ، و إلى أصالة معدنكم ، وصدق أخوتكم ، و حسن وفادتكم ، و جميل كرمكم . قبل أن يعود إلى شخصى الحقير و مواهبى الضعيفة و بضاعتى المزجاة ، بل هو فى تعبير أصح تكريم لهذه الدار التى ننتمى إليها جميعاً ، و تكريم لهذه الدعوة التى آمنا بها والرسالة التى حملناها و الأهداف السامية النبيلة التى نعتز بها و نجاهد فى سبيلها .

لقد مكثت ستة أشهر فى الحرمين الشريفين ، وقضيت أسعد الأوقات فى بيت الله الحرام و مسجد النبى عليه الصلاة و السلام . و إنى أعتبر هذه الأيام فرصة العمر و سعادة الدهر و بركة الزمان . فلا قيمة لزمن مضى من غير حبيب ، أو من غير شوق إلى حبيب ، و لاحساب لعمر مضى بعيداً عن منزله و محله وموطئ أقدامه ، فكانت هذه الأيام حصيلة عمرى و رأس مالى ، و أثمن ما وجدته فى حياتى ، وحق لى أن أعتز بها و أهتز بذكراها ، و أحن إليها كما يحن الولد إلى حجر أمه

و كنف أبيه ، و أردد ما قاله الشاعر العربى :

كم منزل فى الأرض يألفه الفتى و حنينه أبداً لأول منزل
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

إننى زرت البلاد العربية فى مرحلة حاسمة من مراحل حياتها ، وأيام عصيبة شديدة من تاريخها ، فوجدتها أمة زاخرة متدفقة بالمواهب غنية بالقوى الروحية والفكرية والمادية والبشرية ، عامرة معمورة بالوسائل و الأدوات ، و المـاكينات و الآلات ، فائضة بالصحف و المجلات ، و النوادى و المكتبات . و دور النشر والتوزيع ، وجدتها أمة تستطيع أن تسترد بحول الله و قوته مجدها التليد ؛ و عزها السليب ، و كرامتها الضائعة ، و شرفها المنكوب ، وجدت فيها خيرين كبيرين ، و حسنتين عظيمتين لايستهان بهما ، الأولى أنها تسمع وتصغى ، والثانية أنها لاتفلسف و لا تتكلف و لا تعاند و لا تكابر ، و تعترف لصاحب الفضل فضله .

وجدتها أمة لا تزال على خير ... أمة تحسن الوفادة ، و توفى بالعهد ، و تتحلى بالخلق الكريم النبيل ، وجدت قلبها ورأسها وذراعيها مفتوحتين ممدودتين مبسوطتين لكل وافد و زائر ، تستحلى النقد المرير ، و تقبل النصح البريئ ، و تخضع للحقائق و تنقاد لكلمة الحق .

و وجدت فيهـا — فى جانب آخر — ما لا يمكن إهماله أو غض البصر عنه ، لأى عامل فى حقل الدعوة ، ولأى عالم دينى يريد أن يخدم الاسلام أو يخدم مركز الاسلام ، وهو ضعف الوعى السياسى ، وضعف الشعور بالخطر الداهم الجاثم على الصدر . و ضعف الشعور بالمسئوليـة الضخمة ، و عدم التحرق والتألم على ما أهدر من كرامة ، و ماهتك من

استار ، ومافضح من أسرار ، وما شتم به الأعداء وأذل خلق الله .

كنت أتوقع بطبيعة الحال أن أرى فيها أمة فى الثغر ، أمة فى الرباط ، أمة فى النضال وأمة فى ساحة القتال . فوجدتها - مع الأسف المرير والألم الشديد - أمة فى المقهى ، أمة فى الملهى ، أمة فى الملعب .

لقد اختطلت هذه الجوانب ، جوانب الخير و الشر ، و العظمة والضآلة ، و الشرف و المهانة ، و عوامل الضعف و القوة . وركائز التقدم والانحطاط فى هذه الأمة العظيمة ماستعصى به الأمر على العاملين و المربين ، و الدعاة و الموجهين ، و العلماء و المرشدين ؛ ومن بين هذا الاختلاط العجيب بين القوى المضادة و العوامل المختلفة ، ومن بين هذه السحب المتراكمـة من اليأس القـاتل و الأسى المرير . و من بين هذه الحركات و التيارات و النزعات التى تتنازع هذه الأمة و تنـال منها ، و من بين هذه الأشياح من الخطر و التحدى والتلف و الضياع رجعت بايمان جديد و عزم أكيد ...

حسناً ... لقد عرفت الطريق ..

عرفنا الطريق إلى قلب هذه الأمة . ووجدنا منفذاً جميلا إلى أفكارها و عواطفها و إلى مواهبها و مؤهلاتها . و إلى طاقاتها العظيمة المستورة وقواها الهائلة المغمورة التى تراكم عليها الغبار ، ونسج عليها العنكبوت ،

إنه لا محل لليأس و لا مبرر للتشـاوم ما دامت هذه الأمة تسمع و تصغى و تنقـاد لكلمة الحق ، إنه الطريق المأمون ، الطريق الطبيعى ، الطريق الخالد ، الطريق الوحيد الذى لم تسده الحكومات ، ولا تستطيع أن تسده .

إن الرقابة و المخابرات فى بعض البلاد العربيـــة الاشتراكية أيها الاخوة تستطيع أن تصادر بعض المطبوعات وتهاجم بعض الحريات وتفتح أبواب الزنزانات و المعتقلات ، و لكنها لا تستطيع أن تضع حد لهذا المد الفكرى الذى يمتد و يتقدم و يسيل على أكتاف الدعاة المؤمنين والشباب الطاهر الجريئ ، وينتقل من قلب إلى قلب . و من صدر إلى صدر ، و من رأس إلى رأس .

إن الرقابة و المخابرات فى بعض البلاد العربية الاشتراكية أيها الاخوة لا تستطيع أن تعدم حرارة النار ، و عذوبة المياه . و رطوبة الهواء و هى أشياء مادية . فكيف تستطيع أن تقضى على حرارة القلوب و شرارة الصدور ، و مشاعل الفكر و الهداية والدعوة و التوجيه ، وهى أشياء روحية سخر الله لها هذا الكون .

و إذا كان هذا شأن بعض الدول العربية الاشتراكية ، فما ظنك بالدول العربيـة الاسلامية التى تعتز بالاسلام وتخدم الاسلام ، و تشيد بذكره فى المحافل الدولية والمناسبات السياسية بكل صراحة ووضوح واعتزاز .

إن الطريق المفتوح والطريق الطبيعى للدعوة فى هذه الفترة العصيبة من تاريخنا المعاصر هو أن نستفيد بهذا المنفذ بطرق سليمة واضحة مفتوحة مستقيمة ، لا غموض فيها ولا التواء ، و لا سرية فيها و لا خفاء .

إنه طريق تغذية الفكر و الاتصال الشخصى ، و التعاون المثمر ، و التسلل إلى أذهان الشباب ؛ و العمل فى سائر المستويات و الطبقات عن طريق الصحافة الاسلامية القوية الجذابة ، و المؤلفات الاسلاميـــة الرائعة الأخاذة ، التى تضرب على الوتر الحساس وتوقظ الفكر الوسنان ؛

وعن طريق دور النشر والطباعة والتوزيع والاخراج ، وتكوين خلايا خاصة بطقات الجمهور المختلفة ، مزودة بما يليق لها من زاد فكرى ورصيد أدبى .

إنه طريق التغيير النفسى ، وإثارة العاطفة ، وإيجاد الوعى المفقود . والشعور بالمسئولية ، نحتاج فى ذلك إلى إنشاء خلايا فى البلاد العربية تتولى نشر هذه الأفكار والاتجاهات عن طريق الرسائل والمنشورات والصحف و المطبوعات ، وتتعهد غرسها و إنماءها ، و تراقب نشأتها وامتدادها ، و تستعين فى ذلك بالاتصالات الشخصية و العلاقات الأخوية و التفاهم الكامل و التعاون الايجابى إلى أبعد الحدود

إن دور النشر التجارية - مع فائدتها و خدماتها و سهمها الكبير فى نشر الدعوة ومواصلة الجهود - لاتحقق هذا الغرض المطلوب فليجب أن نضيف إليها مراكز جديدة للنشر تعمل على أساس الدعوة فحسب ، و تتحمل فى سبيلها الخسائر إذا اقتضت الظروف ، وتحرص على غرس الأفكار قبل توزيع الكتب ، و تقيس نجاحها بمدى تأثيرها فى النفوس والعقول . وجذبها لأكبر عدد ممكن من الشباب المثقف البعيد عن الدعوة ، الغريب عليها . وكسب أنصار جدد من غير حزبية أو سرية أو كتمان ، إنه عمل مجرد للاسلام ، عمل مجـــرد خالص فى سبيل الله . عمل نزيه كريم فى سبيل إحياء النفوس العليلة المريضة و الحياة الجامدة الخامدة ، إنه عمل نبيل لاثارة العاطفة الدينية والوعى الاسلامى السياسى والشعور بالمسئولية ، و فهم الحقائق و إدراك الأخطار المحدقة القريبة التى تهدد أطهر البقاع وأشرف الأصقاع - لا قدر الله -

إنه عمل فى سبيل الاسلام ، لا فى سبيل الاخوان المسلمين ، أو

فى سبيل الجماعة الاسلامية ، و جماعة التبليغ ، و ندوة العلماء » .

إنه عمل لاعادة الأمة الاسلامية بوجه عام ، و الأمة العربية بوجه خاص ، وجزيرة العرب بوجه أخص إلى مكانها اللائق الكريم من قيادة الشعوب والأمم . وإلى مركزها الحقيقى ومنبعها الأصيل من رسالة محمد ﷺ .

إنه عمل للقضاء على فلول الاشتراكية العربية التى كانت ترنو فى كفاحها الصناعى إلى « ماؤ » « و هو تشى منه » و تستمد نضالها المرذول من الفرق الانتحارية فى حرب فيتنام بدلا من خالد بن الوليد ومثنى بن حارثة وموسى بن نصير ، و محمد الفاتح وصلاح الدين الأيوبى .

إنه عمل للقضاء على المارد العربى ، و « العملاق العربى » حتى يحل محله « المسلم » المجاهد الغازى الشهيد ، الواثق بوعد الله المؤيد بنصر الله ، المنتصر لدين الله ، المسلم المجاهد الذى لا يتحدى القدر ولا يتطاول على الله . بل يمرغ وجهه فى التراب و يخر أمامه خاشعاً ، باكياً ، سائلا ، مبتهلا تائبا مستغفراً يطلب الفتح و يسأل الانتصار .

هذا العمل المجيد ، و هذا الجهاد المبارك ليس فى صالح الأشخاص و الأحزاب ، إنه فى صالح التاريخ المعاصر ، فى صالح الشرف الباكى ؛ و الدم المسفوح، فى صالح الأمة المنكوبة و الكرامة الضائعة ، فى صالح الحياة الآمنة و العيش الرغيد ، فى صالح هذه النعمة التى فزنا بها دون غيرنا ، و الثمرات التى رزقنا بها من غير جهدنا ، فلتفتح له الأبواب و الصدور ، و لتفرش فى سبيله الأزهار والورود ؟

محمد الحسنى

- معالم فى الطريق .
- و أضواء على الشعارات الزائفة .
- و تصوير للموقف الاسلامى الصحيح .
- و دعوة إلى منبع الاسلام الصافى النقى .

التوجيه الإسلامى

بقلم

- خطوط عريضة للفكر الاسلامى الثائر الذى لايقبل المساومة و البيع والاستسلام ولاينسجم مع الغرب المادى أيما انسجام .

صفوة الآثار والمفاهيم

من تفسير القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

كما أن كل ما كـول أو مشروب محرم ، أو تكسب لا يقصد به وجه الله ، و كل ذرية لا يوجهها ولاة أمرها إلى الله ، بالتربية والتعليم الشرعيين فهو من شرك الشيطان ، و كل هدف إلى ما سوى الله فهو من أمانى الشيطان و غروره ، كما قال تعالى فى ختام هذه الآية (وشاركهم فى الأموال و الأولاد وعدهم و ما يعدهم الشيطان إلا غروراً - ١٧ - ٦٤) .

فالراكب فى معصية الله كالماشى فيها هو من جند الشيطان ، والغازى و المحارب لأغراضه و أهدافـه و مبادئه الوطنيـة ، أو مذاهبه المادية و نحوها ، مما لا يقصد به وجه الله و إعلاء كلمته ، يكون من جند الشيطان و حزبه ، سواء كان غالبـاً أو مغلوباً ، لأن له سوء العقبى ، و شر المنقلب ، لاسيما إذا كان مسلماً فى الظاهر ، لأنه بسلوكه هذا قد حرم نفسه من نصرة الله . و مدده الذى لا يغلبه غالب .

و هـذا هو السر فى تأخر المسلمين أو المحسوبين على الاسلام ، فهزائمهم المتلاحقه أمام اليهود ، وأعوانهم من الوثنيين ، سببها انخراطهم فى جندية الشيطان ، بسلوك أهوائهم فى الحب و البغض ، و الولاء

و المعاداة ، و اتباعهم الشهوات والسير فى الأنانيـة المختلفة التى جعلتهم لم يخلصوا النية و لم يصلحوا العمل لله .

فكان المعيار عندهم مادياً بحتا ، وإذا كان كذلك فعدوهم أكثر عدداً و أقوى عدة مادية ، فيكون له الرجحان لانعدام القوة الروحية الغالبـة باذن الله ، حيث تربوا على الافكار الماسونية اليهودية التى جعلتهم يسيرون وفق أغراضهم لا وفق أمر الله ، و يقاتلون فى سبيل أهوائهم و حدود أوطانهم لا فى سبيل الله و إعلاء كلمته ، و إقامة حدوده ، بل لم ينـالوا بما انتقصه أعداء الله من أراضى المسلمين و حدود الاسلام ، ولا بما أجراه أعداء الله على المسلمين فى جزيرة (قبرص) والحبشة وغيرهما ؛ مما هو تحت وطأة روسيا و الصين ، وإنما هدفهم مقصور على مايسمونه بالوطن العربى ، و على الأخص المتقبل للمذهب الماركسى الشيوعى ، بل ظـاهروا أعداء المسلمين ، و قد قلت فى منظومتى عقب كارثة صفر عام ١٣٨٧هـ .

فلم يتقاتل مع يهود سوى الذى ... تربى على أفكارها لا على الذكر
و لم ينهزم منها سوى متفرنج ... و فرخ شيوعى و مختلط الأمر
لقد خانهم أسيادهم قوم (مركس) ... كما نكص الشيطان عن مشركى بدر

فالذين تربوا على الذكر الحكيم لم ينهزموا أمام اليهود ، وأعوانهم فى كل زمان ، وفى الوقت الذى يتربى فيه العرب على القرآن تحفظ اليهود أمامهم الذلة ، ولكن حاربهم الذين استووا فى جندية الشيطان مع عدوهم فكانت الغلبة للقوة المـادية و المكر السياسى أو الحربى ، و لو أخلصوا نيتهم لله و أصلحوا أعمالهم لوجهه الكريم ، و حصروا اتجاههم إليـه ،

و وحدوا هدفهم لاعلاء كلمته لبارك فى جمعهم و سدد خطاهم ، و ثبتهم و صوب رميهم ، و أمدهم بالريح و الملائكة ، و بجنود لا يعلمها إلا هو ، ونصرهم بما يقذفه من الرعب الشديد ، فى قلوب أعدائهم وإحباطه لخططهم ، و سله لحركة مصنوعاتهم ، أو إفساد مفعول قـذائفها ، كما أفسد مفعول النار المتأججه على إبراهيم إمام الحنفاء عليه السلام .

فهو يمكر للمؤمنين مكراً يحبط به مكر الكافرين (و يمكرون ويمكر الله ، و الله خير الماكرين) و ما أقل من ينتبه إلى هذا السر فى هزائم المحسوبين على الاسلام ، ألا وهو التقاؤهم مع إعدائهم فى جندية الشيطان لأن أدمغتهم قد تخبطت وفسدت ، حتى تبلورت بالغزو الفكرى من أعدائهم ، ذلك الغزو الثقافى الماسونى ، الذى أبعدهم عن القرآن ، وأزاحهم عن العقيدة الحنيفية الأصيلة ؛ و أبعدهم عن الأخلاق والشمائل المحمدية ، و جعلهم يتعشقون الأخلاق و النظم الغربيـة و الشيوعيـة مما هو من أوضاع اليهود فكيف ينتصرون عليهم ؟

و لا شك أن شياطين الانس المبتعدين عن أمر الله و إقامة حكمه و تحقيق عبوديته إذا تصارعوا فيما بينهم صراعاً كلامياً ، أو حربياً كان النصر لمن هو أكثر تهويشاً فى الكلام أو أقوى عـدة مادية ، و أعمق مكراً . و أكثر أنصاراً من جنس الشياطين ، فجند الشيطان فيما بينهم يكون انتصار بعضهم على بعض بهذا الاعتبار ، كماحصل فى حرب اليهود مع خصومهم من المـاديين المتشيطنين . و إن ادعوا ما ادعوا . و كما حصل فيما يشبه حربهم من قبل فى كل العصور والطوائف ، وماسيحصل من بعد .

و أما إذا تقابل جند الشيطان مع جند الله الصادقين فى أعمالهم و مقاصدهم مع الله فحظهم الخيبة و الخزى و الهزيمة أمام حزب الله ؛ كما قال تعالى (إنهم لهم المنصورون و إن جندنا لهم الغالبون - فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً - ذلكم و أن الله موهن كيد الكافرين) - و مهما كثر أعوانهم من فئات الشياطين فالله خاذلهم كما قال الله تعالى (و لن تغنى عنكم فئتكم شيئاً و لو كثرت وأن الله مع المؤمنين ٨ - ١٩)

و من عطل الله عن أمره و شرعه و حكمه و نصب نفسه مكان الله فى التشريع لشؤون الحياة فقد حرم نفسه من هذا النصر و كان من صرعى الشياطين ، وليحاذر من استعمال نعمة الرجلين فى المشى إلى مجالس اللهو ، أو اللعب المحرم و المكروه ، و سائر ما هو من هوى النفس ، حتى لا يكون من رجل الشيطان الساعية فى مطلبه ، و لايخفى أن المحرك لهذه الجوارح و القوى و الأحاسيس هو القلب . فهو ملكها و مسيرها حتماً ، فبصلاحه تكون حركاتها إلى الخير و الصلاح . و بفساده ينعكس الأمر كما قال ﷺ (ألا و أن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، و إذا فسدت فسد الجسد كلـه ألا و هى القلب) فرحى العبوية تدور على القلب و هو قطبها ، و لكنه لايسير جوارح الانسان وقواه وأحاسيسه إلى الله إلا إذا كان سليماً مما سواه ، لأن القلب السليم هو الذى يتلقى حكم الله الشرعى الدينى بالمسالمة والانقياد المحض ، والتسليم بلا منازعة ، فلا يعارضه بذوق أو سياسة أو قياس أبداً بل بالاذعان و القبول ، دون حلول شبهة تعارض شريعة الله ، أو شهوة تعارض

أمره و تحول دون تنفيذها .

فهذا القلب السليم من الشهوات و الشبهات هو الملك المسير للانسان تسييراً روحانياً ربانياً لا شيطانياً ، و هو الذى يتكون من أفراده عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سبيل ؛ فلا يكسب الشيطان منهم راجلا ولاراكباً . بل هم الذين يهزون أهل الأرض و يصعقون اليهودية العالمية ، فى كل مكان ، كماحصل ذلك من المتلمذين على المدارس المحمدية الحنيفية ، لا على المدارس المعولة على الخطط ، و المفاهيم الماسونية ، ممن هم كسب لليهود ، و قرة لعيونهم ، « وما ظلمهم الله و لكن كانوا أنفسهم يظلمون »

الثانى و السبعون بعد المأة : الصادق بضراعته إلى الله بـ (إياك نعبد و إياك نستعين) يعنى غاية الاعتناء بسلامة قلبه و ذلك (١) بتصفيته مما يرد عليه من الهمسات والخواطر التى تفتنه بشبهة أو تشغله بشهوة ، و (٢) تصفيته مما يقذف عليه من الآراء والنظريات ، و (٣) من فساد المقاصد ، و هى ما يكون لغير الله من كل غرض و شهوة ، و (٤) تصفيته من مثبطات الهمم ، و (٥) من التعلق بغير الله أو إيثار شئ على مراده ، و لو أقرب قريب أو أنفس نفيس فى الدنيا . و (٦) تصفيته من استعذاب شئ فوق استعذاب عبادة الله بأى أنواعها . أو على عذوبة كلامه و كلام رسوله عليه الصلاة و السلام .

(٧) ومن التعلق بجمال شئ ينسيه جمال الله ولذة قربه ، بل إذا أعجبه جمال شئ ذكر جمال الله الذى جميع ما فى الأكوان من جمال ، فهو أثر من آثار جماله ، و كل ما استمتع بمحبوب أو استلذ بشهوة

زادت محبته لله الذى وهبها ، وزاد تعلق قلبه بعبادته و حسن مراقبته ، (٨) وتصفيته من إجلال غير الله ، والخوف من غير الله أو رجائه ، أو قصر محبته عليه أو تفضيلها على حبه . - و ذلك أن القلب وعاء كسائر الأوعية ، و كل وعاء لا يكون فيه صلاحية لوضع شئ ، حتى يفرغ من ضده و يصفى كما هى القاعدة العقلية ، إن قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتخليته و تنقيته من ضده) :

فالأناء الذى فيه الملح لايصلح لوضع السكر أبداً حتى يفرغ من الملح و ينقى تنقيبة ملائمة لوضع السكر ، و هكذا فالقلوب شأنها أعظم من ذلك و لا تصلح لقرار حب الله واجلاله و تعظيمه . و الخوف منه و محبة ما جاء عنه و نحو ذلك من مقتضيات الدين و العبودية ، حتى تفرغ وتصفو من حب غير الله وتعظيم غير الله والخوف من غير الله أو رجائه ، و تصفو من محبة لهو الحديث و التعلق بالأنانية والشهوات و تصفو من العلوم المادية و النظريات الالحاديه ، و هناك تكون فيها القابلية الصحيحة .

فان القلب إذا صفت مقاصده لله و صفت معلوماته مما سواه . و انحشى بوحيه العزيز ، و انشغل بذكر أسمائه الحسنى متدبراً معانيها ومشتقاتها ، ليعامل الله بمقتضاها ولا يأنس إلا بها صفت موارده لخلوص مقاصده . فصار سليماً و فى حصن حصين من غزو أعدائه شياطين الانس و الجن الفكرى و من همزاتهم ، فيثمر له صفاء علمه و متعلقاته حسن السلوك الذى يسير الأعضاء و الأحاسيس حسب مرضاة الله ، كما أسلفنا فى الوجه الذى قبل هذا .

الانسان مزيج غريب ، من الروح والمادة

سماحة الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسن الندوى

خلق الانسان وسطاً بين الملائكة و الحيوانات ، و ركبت فيه طبائع هذين الجنسين المتناقضين تركيباً لطيفاً ، حكيماً بديعاً . فهو مزيج غريب من الخواص الملكيه ، و الخواص الحيوانية ، و من الأخلاق الالهية ، و العادات الحيوانية ، ذلك لأن منصبه الذى رشح له ، وغايته التى طلب منه أن يبلغها و يحققها ، و وضع فيه استعدادها و حبها ، لم يرشح له الملائكة ، و لم يخلق له الحيوانات ، و ذلك منصب الخلافة ، و مركز الأمانة ، و غاية العبادة ، « و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك ، قال : إنى أعلم ما لا تعلمون ، « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال . فأبين أن يحملنها و أشفقن منها ، و حملها الانسان ، إنه كان ظلوماً جهولا » ، « و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون » .

مقتضى « الخلافة » و لوازمها :

و كان منصب الخلافة يقتضى المناسبة القوية ، بالمستخلف المنيب ؛

و المناسبة القوية بالمكان الذى يتولى الخلافة فيه ، و المخلوق الذى يتولى السيادة عليه ، و الحكم فيه ، فأخذ من الأول أشباح أخلاقه ، و ظلال صفاته كسمو و نزاهة ، و صمدية و غنى ، و رحمة و كرم ، و رأفة و بر ، و صبر و حلم ، و قوة و قهر ، وصفاء و تجرد ، و أمن وسلام و قد ظل فى جميع أطواره البشرية ، وأدواره التاريخية يجد اللذة ويعتقد العزة فى هذه الأخلاق و مظاهرها ، و يخضع لحمايتها و أصحابها ، ويدين لهم بالحب و الاجلال ، إذا تجرد عنها و عجز عن التحلى بها ، أو تقاصرت عنها همته ، و ضعفت إرادته .

و أخذ من الثانى خواصه و طبائعه ، وشاركه فى مواضع ضعفه ، ليشاركه فى آلامه و آماله ، و يحسن سياسته ، و ينتفع بكنوز الأرض و خيراتها ، و يتمتع بنعمها و طياتها ، و يضع ما خلق فيه مواضعه ، فوضعت فيه شهوة الطعام و الشراب ، و ركبت فيه الغريزة الجنسية و خلق فيه الجوع و العطش ، و عجنت طينته مع اللذة و حبها و طلب المزيد الجديد ، و ألهم الصناعة و المدنية ، و التأنق فى الطعام و الشراب .

تجاذب الروح و الجسد ، إلى مركزهما ، و خصائصهما :

و لذلك كان مجموعاً من روح و جسد ، فالروح هى التى تجذبه إلى أصلها و منبعها ، و تذكره بمنصبه و مركزه ، و غايته و مهمته ، و تفتح فيه الكوة إلى العالم الذى انتقل منه ، و إلى سعته و جماله ، و لطافته و صفائه ، و تثير فيه الأشواق و الطموح ، وتبعث فيه الثورة على المادة الكثيفة الثقيلة . و تزين له الانطلاق من القفص الضيق

الخانق ، و إن كان من ذهب ، والتحليق فى الأجواء الفسيحة التى لانهاية لهـا ، و فك السلاسل و الأغلال من عادات و مألوفات ، و لذات و حاجات ، و لو حيناً بعد حين ، و فى شهور و سنين ، و تحبب إليه الجوع و العطش مع و فرة الطعام و كثرة الشراب فيشعر فيهما بلذة . لا يشعر بها فى أطايب الطعام والشراب ، وبعد ذلك الوقت القصير الذى يمضى فى فراغ الخاطر وصفاء النفس ، و خفة المعدة ، وإشراق الروح ، و التجرد من الشهوات ، و التحرر من النظام الرتيب الخشيب ، قيمة الحياة و لذتها ، و سرور النفس و بهجتها ، فلا يزال يحن إليه حنين الطائر إلى الوكر ، و حنين السمك إلى الماء ، و ذلك كله صنع الروح التى أودعت فيه ، و انتقلت إليه من عالم الغيب : « و يسئلونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى » « و نفخت فيه من روحى » .

و الجسد هو الذى يجذبه إلى أصله و مركزه ، و هى الأرض - بكثافتها و تبلدها ، و ثقلها و سفالتها - « ولقد الانسان من صلصال من حمأ مسنون » « فاستفتهم أهم أشد خلقاً أمن خلقنا ، إنا خلقناهم من طين لازب » « خلق الانسان من صلصال كالفخار » فاذا ضعف سلطان الروح ، أو زال حكمها ، و تقلص ظلها ، وملك الجسد زمام الحكم ، استرسل الانسان فى لذاته و شهواته ، و رتع فيها رتع البهائم السائمة ، و جن بها جنوناً . و أبدع فيها ألواناً و فنونا ، و تخطى حدود العقل و العرف و الصحة و الطب ، و العدل و الشرع . و انصرفت همته و ذكاؤه ، و إبداعه وعبقريته إلى التفنن والتدقيق ، والاسراف والاكثار من أنواع الطعام و الشراب و التهامها ثم انهضامها ، و ما يبعث فيه

الشهية ، و يوقظ فيه الجوع ، ثم يعينه على الهضم ، و يعده للوجبة الثانية ، فيصبح و هو فى أوج مدنيته و حضارته ، و قمة علمه وثقافته ، كحمار الطاحون أوكثور الحرث ، يدور بين المطعم والمرحاض ، ومائدة الطعام و البالوعة ، لا يعرف سوى ذلك مبدأ ومعاداً : ولايعرف غير الطواف بينهما شغلا و جهاداً فتموت فيه كل رغبة الطعام و الشراب ، ويتبلد فيه كل حس إلا حس اللذة والمتعة ، و يزول عنه كل هم الكسب ليأكل ، و الأكل ليكسب ، و لا تصوير أدق و أصدق من تصوير القرآن المعجز « و الذين كفروا يتمتعون و يأكلون كما تأكل الأنعام و النار مثوى لهم » و ما ذاك إلا طبيعة الجسد الذى تحرر من سلطان الروح ، و حرم توجيه النبوة و ارشادها ، و انقاد للنفس و الهوى ، و نتيجة انجذابه إلى أصله و مصدره : « و اتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا ، فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين ، و لوشئنا لرفعناه بها ، و لكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب : إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » .

أثر انتصار كل من الروح و الجسد .

فى حياة الانسان وفى تاريخ الأديان والأخلاق :

و ما تاريخ الانسان الدينى و الخلقى ، إلا قصة صراع بين الطبيعتين و تأرجح بين نهايتين ؛ فأحياناً تغلبت الطبيعة الأولى ، و تطرفت ، فابتدعت الرهبانية ، و غلت فى التقشف فى الحياة ، و رفض الطيبات و المباحات و إرهاق الطبيعة و إجهاد النفس ، فأطال الانسان الجوع

و أدام السهر ، و التجأ إلى الغابات و المغارات ، ورأى السعادة والسمو الروحانى ، فى تعذيب النفس و إيلام الجسم ، و ما قصة غلاة القرون الوسطى فى أوروبا بخبر مجهول : « و رهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها » فلم تكن نتيجة ذلك إلا أن ضعفت الأجسام و العقول . و انحلت الروابط ، و تعرض المجتمع الانسانى لخطر محدق ، و تخلى الانسان عن منصب الخلافة الذى أكرمه الله به ، و انسحب من ميدان الكفاح و المسؤلية ، و اتخذ « الملك » له المثل الأعلى و صار يجسده ، ويطمح إليه بعد ما كان محسوداً للملائكة و مسجوداً لهم .

و تغلبت الطبيعة الثانية ، الطبيعة الجسدية الأرضية ، أحياناً كثيرة ، فانفلت الانسان من كل قيد من قيود العقل و الشرع ، و من كل سلطة من سلطات الروح و الأخلاق ، و انساق لدواعى المادة و المعدة ، وانجرف معها انجرافاً ، فأمعن فى إرضاء شهواته البدنية ، وتحقيق رغباته المادية ، لا يعرف لذلك حداً و لا نصاباً ، فانطفأت شعلة الروح و القلب ، و تضخمت المعدة على حساب العقل و الضمير و توسعت ، فصار لا يكفيه قوت أسرة أو قبيلة ، و نشأت فى جسمه معدة صناعية خالية ، و فى حياته جوعة وهمية أسطورية ، لا يشبعها أعظم مقدار من الطعام و الشراب ، و من الذخائر و المستودعات ، و من الايراد و الغلات ، فنشأت مظالم و جرائم ، و أصبح الانسان حيواناً مفترساً ضارياً ، يفترس بنى نوعه ، و يزدرد أفراد أسرته ، و ما قصة الحروب و الغارات ، و الفتوح و الانتصارات - حاشا الجهاد الدينى المقدس -

إلا قصة الجشع الفردى ، أو الجماعى ، و قصة الغرام بالتمتع و الرئاسة ، و العلو فى الأرض .

تأثير التخمة و النهامة فى الأخلاق و الأذواق :

و إذا تغلبت هذه الطبيعة الحيوانية ، و ملكت زمام الحياة ، و استحوذت على مشاعر الانسان و حواسه ، و أصبحت « المعدة » هو القطب الذى تدور حوله الحياة ، شق على الانسان كل ما يحول بينه و بين رغبته ، و ما يشغله عن ارضاء نهمته ، و كل ما يذكره بمبدئه و مصيره ، و ما يصور له الحساب ، والاحتساب ، والجزاء والعقاب ، فلا يجد فى أعوام طوال وقتاً صافياً ، و قلباً فارغاً ، و عقلا يقظاً ، و ضميراً حياً ، فتثقل عليه العبادة و الذكر و ما يتصل بهما ، و لا يجد لذتها بطبيعة الحال . « و إنها لكبيرة إلا على الخاشعين ، الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم و أنهم إليه راجعون » « و إذا قاموا إلى الصلاة ؛ قاموا كسالى ، يراؤن الناس ، و لا يذكرون الله إلا قليلا » .

الحلقة الثالثة

أين محاضن الجيل المسلم ؟

الأستاذ يوسف العظم

حين أطمأن العدو إلى انشغال الأمهات و الآباء استغل ضيقهم بأبنائهم و بناتهم ونفورهم من الانصراف والتفرغ للتربية ، ففتح محاضنه و نشر مدارسه و لم يقصرها على رياض الأطفال فحسب ، بل بدأ بها من دور الحضانة و انتهى بها جامعات كبيرة ذات فروع و أقسام من التخصص و الدراسات العالية .. ذلك لأن إلقاء بذرة الفساد والانحراف و الهدم و التضليل قد لا يؤتى الثمرة المرجوة للزارع إن لم يتعهدها بالنماء .. وعليه فان رياض دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس الابتدائية و الثانوية كل تمثل مراحل بينة من العملية الزراعية المتكاملة تربة و بذوراً وحرثاً وسعياً و رعاية ، حتى إذا ما نضج الثمر وحان يوم الحصاد تمثل ذلك فى أجيال تتتابع فى ميادين العلم والسياسة والتوجيه ، ممن يخرجون و هم يطالبون بقيام خصمين لا لقاء بينهما فى ديار الاسلام ، سياسة كافرة بلا دين ، ودين غبى هزيل متقوقع لا سياسة فيه و لا تدبير ! ....

ولو لم يحقق العدو غير هذا الهدف فقد وصل إلى أخطر مايرجوه ، أن يمزق مفهوم الاسلام و يفرق تكامله ، فيعيش الناس فى شك من

صلاحيته لكل شؤون الحياة ويحيا المسلمون مضللون يجمعهم مجتمع مرقع و أنظمة مهلهلة جمعت من هنا وهناك ، لا روح فيها ولا حياة تربطها بواقع الأمة و عقيدتها و تراثها .

حين يتحدث علماء النفس عن المرحلة الأولى فى حياة الطفل فى بدء انطلاقه و استقلاله عن حضن أمه ما بين السنة الثانية و الخامسة يؤكدون أن « الطفل فى هذه المرحله شديد التقليد كثير اللعب التمثيلى أو الايهامى الذى قد يساعده على أن يعوض ما ينقصه فى الواقع ، و هو عنيف فى انفعالاته ، كثير المخاوف ، شديد الغيرة ، وفى أخريات المرحلة تكثر الأسئلة الدالة أحياناً على تعطشه للمعرفة والكشف ، وأحياناً على ما وراءها من قلق و خوف ، فهو يسأل من أين ولد ؟ و كيف يكبر ؟ » (١)

و مثل هذه الاشارات العلمية النفسية الرشيدة تفسر لنا السر فى إقبال المبشرين على فتح رياض الأطفال فى كل بقاع الدنيا ، وبخاصة تلك التى يكثر فيها المسلمون .

و لسوف أمضى معكم أحلل كل مظاهر المرحلة التى أشرنا إليه لنبين كيف يربى أبناؤنا على عين العدو و فى كنفه ، و كيف يهيأون لأمور لا نعيها إلا بعد فوات الأوان و انقضاء ساعة الندم .

أما ميل الطفل للتقليد ... فيستغل إلى أبعد مدى حين تقع عينه على الصليب حيثما اتجه ، على جدران و أبواب مدرسة نظيفة مرتبة تنفق عليها الإرساليات التبشيرية و لدول القوية الثرية بلا حساب ،

(١) أسس الصحة النفسية للدكتور القوصى ص ١٦٦ .

و فوق صدر راهبة حنون تغمر الطفل برعاية مقصودة و حنان مهيأ ، كما يلمح فى هيكل الكنيسة المدرسية ما يبهر نظره من شموع مزركشة وألوان زاهية ، و يرن فى أذنه من ألحان موسيقية محببة إلى الطفل الذى يميل للألوان و الزخارف و الألحان .. ويروح الصغير البرىء المفترى عليه يقارن بين كل ذلك وبين مدرسة أخرى غير منظمة ، تجمع جمهرة كبيرة من أبناء المسلمين بلا ذوق و لا نظام و لا رعاية ؛ يتطلع حوله فيرى واقعاً سيئاً للمسلمين الذين لايفقهون الاسلام و لا يستجيبون لربهم وهو يدعوهم « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » فينطبع فى ذهن الطفل صور موجهة هادفة تمثل فوضى المسلمين و قذارتهم . و نظافة الدخلاء و حرصهم على النظام ، ومن هنا ينشأ وأنف أمته فى الرغام ، محباً لعدوه تلقائياً ، كارهاً لبنى قومه ايحائياً مطلقاً عبارات الهزء والسخرية عند مايكبر ، يجرح بها أهله ، وينال بها من تراثه وعقيدته ، كلما لمس من صديق مالايروق له ، أو وقع مع صاحب فى خلاف فى الرأى أوالسلوك أو مظاهر الحياة ! ...

و من الصعب أن نحصر أمثالا وقعت فى أسر لا حصر لها فى عالمنا الاسلامى ، ممن ضللوا وبعثوا بفلذات اكبادهم إلى محاضن المبشرين ، فعادوا إلى أهليهم بعد حين يحملون أدعية لقديس و آيات من انجيل يرددونها على ألسنتهم و صلوات وشارات يرسمونها على صدورهم ، والأهل عن ولدهم غافلون ، وعن أول خطوة من الطريق الطويل الرهيب لا يسألون !...

إن مرحلة التقليد فى حياة الصغار تتبعها مرحلة الثبات

والاستقرار ، ولقد حدثنى أب فاضل هو موضع الثقة من كل من عرفه أن له ابناً كان يقلده فى صلاته و يتبعه فى حركاته حتى وقع له حادث عائلى خاص فى بلد أجنبى أدى بالطفل إلى دخول روضة أطفال أجنبية ، و لم تمض شهور على ذلك حتى فوجئى الرجل المسلم بابنه يصلى كما يصلى القوم ويدعو كما يدعون ، وعبثاً حاول الأب تقويم سيره و توجيهه فى طريق جديدة ، لكنه عانى من جراء ذلك صعوبات كبيرة ، أولى مظاهرها أن الطفل كان يرفض بعد بلوغ الرابعة من عمره أو الخامسة أن يتوجه خلف أبيه نحو القبلة للصلاة كما كان يفعل من قبل مقلداً أباه فى صلاة طفولية محببة .

و لقد مربى مثل على ذلك فى إحدى مدارس البنات الثانوية حين رأيت فتاة تحمل صليباً على صدرها ، ولها اسم من الأسماء المشتركة التى تجتمع عليها المسلمات و غيرهن . فكنت أظنها فى مطلع العام غير مسلمة حتى لاحظت تكرر حضورها حصة التربية الدينية ، و لما سألت عنها علمت أنها مسلمة مما دعانى إلى أن أسألها عن سر الصليب على صدرها فكان جوابها بهدوء وعفوية : إن الراهبة التى علمتها فى المرحلة الابتدائية تركت فيها أثراً عميقاً لأنها لطيفة مهذبة طيبة المعاملة .. وكانت الراهبة تعزو كل لطفها و حسن معاملتها كلما سئلت عن ذلك إلى قدسية الصليب و رعايته و تعاليمه .. و طبيعى أن أبذل الجهد ، و أن أعمل مابوسعى حتى أزالت الفتاة الصليب لتحمل محله مصحفاً لا يشغل من دنيا أسرتها و من نفسها إلا ما تحتله قطعة من الحلى أو أداة من أدوات الزينة .

و أما ميل الطفل للعب التمثيلى .. فى مرحلة رياض الأطفال

فانه لن يتجه بحال إلى تصور البطولة أو تخيل المثل لدى مسلم قط ، ذلك أن الطفل يعيش فى المدرسة الأجنبية غريباً لاأهل له إلا مربوه ، مقطوعاً لا صلة تربطه بماضيه ، مبتوراً عن قصص من تراثه الرائع المحبب ؛ بالاضافة إلى أن جانباً مظلماً مزوراً من تاريخ أمته يعرض له ، و صور شوهاء تقدم إليه ، فلا يعرف عن نبيه الكريم إن سمع به غير ما يقول به المستشرقون و ما ينشره المفترون فى مختلف مراحل التعليم مما لاصلة له بالانصاف . ولاآصرة تربطه بالبحث العلمى المتزن والدراسة الحصيفة . .

و من هنا ينطلق الطفل و فى خياله ألف صورة و صورة عن عاطفة « بابانويل » و حنانه الغامر . وفى ذهنه ألف حكاية و حكاية عن القديسين و القديسات و على رأسهن « سانت ايزابيلا » التى رسمتها الكنيسة قديسة مع زوجها « فريديناند » تقديراً لما صنعته فى أسبانيا حين أخرجت جميع المسلمين . أو ذبحتهم حتى لم تترك فى أسبانيا واحداً يوحد الله ! . .

و أما كثرة مخاوف الطفل التى أشرنا إليها فى مرحلة رياض الأطفال فتستغل بتوجيه البرعم الغض الذى لم يتفتح بعد توجيهاً كلياً إلى المسيح المخلص . فاذا ما هبت ريح أو دوى رعد أو لمع برق أوضجت العاصفة ، فما عليه إلا أن يغمض عينيه ، و يضم كفيه و يركع لليسوع ثم يدعوه أن يخلصه من كل مكروه ، حتى إذا ما انتهت العاصفة و فتح الصغير عينيه وجد نفسه فى أمن لم يمسه سوء ، وبين يديه كتاب جميل أو لعبة مغرية ، أو حلوى لذيذه يغلف ذلك ابتسامة حلوة من راهبة خاشعة

تومئ برأسها إيماءة يفهم منها أن المسيح معه حيثما كان يخلصه من كل أذى و يبعد عنه كل مكروه . .

و يعيش الصغير فى هذه المعانى و أبوه الفارغ أو الجاهل أوالمترف أو الغافل أو الساذج أو حسن النية على أبسط مستوى لا يدرى من أمره شيئاً ، وقد يكون من الذين يصومون رمضان . ويصلون فى الصف الأول ولكنه بعث بفلذة كبده لمدرسة يحسب أنه يلقى فيها الخير لولده ، أليست مدرسة أجنبية فيها نظام و ذوق و لغة أجنبية تمنحه فى مقبل الأيام درجة و مكانة و لقمة عيش . . أما ما تسلبه منه المدرسة فذلك لا يهمه فى كثير أو قليل . مادام يعيش مع الذين وصفهم نبى الرحمة غثاء كغثاء السيل ! . .

وأما كثرة الأسئلة التى يتميز بها الطفل فى هذه المرحلة - مرحلة رياض الأطفال فان وراء كل سؤال إجابة يكمن فى ثناياه « يسوع ابن الله كما يزعمون » من خالق ؟ . . من يحفظى ؟ من وهبنى السمع والبصر ؟ من بعث لنا العصافير و أنبت الأزهار و منحنا الثمار ؟ من يرعانى حتى أكبر ؟ ماذا يجب على أن أعمل لأشكر خالقى ؟ كيف نولد ؟ و لماذا نموت ؟ من أين أتينا و إلى أين نعود ؟ .

و تربط المدرسة التبشيرية و المحضن الأجنبى كل مظاهر الكون و معطيات الحياة و سلوك الانسان باليسوع . و ينشأ الطفل على هذا و ينطبع فى ذهنه من الباطل مالا سبيل إلى انتزاعه إلا بشق الأنفس . . إن وجد الخبير الدارس لكل جوانب القضية و أبعاد المشكلة . . و إلا خرج الطفل بأسلوب صريح مباشر من دين الاسلام أو بأسلوب مرن

ملتو مغلف بالسخرية حينا ، والهزء حينا ، والتسامح المزعوم الذى يتناول فيه عن كل مقومات الكرامة فى كثير من الأحيان :

شرب الخمر ، أصبح أمراً عادياً عند البعض ممن يتسمون بأسماء إسلامية ، لأن المجاملة واجبة فى الحياة الاجتماعية !!

و حفلات النوادى الليلية والعرى والرقص صار فنا تقتضيه ظروف الحضارة !!

و الاختلاط المنكر فى تبرج فاحش ما عاد أمراً يحرك فى الرجل ذرة من كرامة أو خلجة من حياء !!

و خذ ما شئت بعد ذلك من أسماء أحمد و محمد و على مما تنطوى عليها شهادات النفوس فى دوائر الصحة و سجلاتها الرسمية ! . . .

لست مع الذين يقولون إن التبشير لا يهدف إلى محاولة جعل المسلمين نصارى و قلب المسجد كنيسة و تبديل القرآن إنيجلا ، لست معهم أبداً حين يدعون هذا القول على اطلاقه ، و يرددونه دون تفصيل أو بيان ، ذلك أن التبشير يسعى ما استطاع إلى أن يتخذ من اجيالنا ميدانا يصنع فيه ما يشاء فيسوق أبناءنا فى طريق تخدم الأجنبى و تحقق مصالحه و غاياته فى ديار الاسلام .

و من أولى وسائل إخضاع المسلم للغاصب تخليه عن إسلاميه وهجر دينه و اعتناقه ديناً يلتقى فيه مع المستعمر لحرب الاسلام والحيلولة بينه و بين الاستقرار فى نفوس الناس ، أو توجيه حياتهم بحيث يؤمنون به و يضحون من أجله ، فان عجز المبشرون عن تنصير المسلم أو كسبه فى عدادهم رحبوا به فى الجيش الاحتياطى الكبير الذى يضم فى عداده

المغفلين والنفعيين و الجبناء . وهذا هو الهدف الثانى بعد عجزهم عن تحقيق الهدف الأول : التنصير . . . و هجر الاسلام ! أما المغفلون . . . فانهم يكفرون و هم لا يشعرون !

و أما النفعيون فليس لهم فى الحياة من غاية إلا أن يشبعوا جوعة المعدة و الجسد بأية وسيلة و على أى طريق يقودهم إلى الهوى والشهوة و الحرام ! . . .

وأما الجبناء فهم الذين يضعفون أمام سلطان الأجنبى وهيبة القوى الغاصب . فلا يدرسون مخططه و لا يكشفون غايته ، ولا يحددون أهدافه ولا يقفون له بالمرصاد فيما يمضى ، لايبالى يهدم ويدمر ويفتك بالأجيال المتعاقبة من أبناء أمتنا المضيعة الغافلة !

و فيما يلى أسوق مثلين اثنين يبينان الهدف الأول من أهداف التبشير أن يبدل المسلمين نصارى ، ولكن على عينه و بأسلوبه الذى يرتضى . .

الأول : كلكم سمع بسانجور . . رئيس وزراء السنغال فى أفريقيا . و أفريقيا كما تعلمون مرتع خصب و ميدان فسيح وقارة بكر غزاها الاستعمار فى ثنايا التبشير ودخل التبشير ، فى حماية الاستعمار وحشد فى القارة البكر المتيقظة جيوشاً جرارة من المبشرين ، راهبات ورهباناً ، معلمات و معلمين ، ممرضات و أطباء ، مستشفيات و مدارس .

و أعود إلى سانجور ، رئيس وزراء السنغال و هو ثمرة من ثمرات التبشير فى حدود هدفه الأول . أن ينصر المسلمين . و أن يبدل دين الله ، ذلك أن الاسم مخفف كما يبدو من اسم القديس سان جورج ، بينما

ينتسب الرئيس السنغالى لأبوين مسلمين ، واشقاؤه وأقرباؤه كلهم مسلمون موحدون ، وهو النصرانى الوحيد بين أعضاء أسرته (١) والسر الذى يكمن وراء ذلك ، أن البعثات التبشيرية فى أفريقيا تختار ما استطاعت من كل أسرة صبياً دون الخامسة تقوم على تربيتـــه و تثقيفه و تعليمـه الجامعى العالى، حتى إذا ما عاد إلى بلاده عاد نصرانياً فرنسياً مثلا، كاوقع لسانجور ، (٢) و تولى زمام السلطة واستولى على مقاليد الحكم ، فيدير البلاد بوحى من السياسة الفرنسية و بروح الآباء اليسوعين !

ولايهم السياسة التبشيرية الاستعمارية الرهيبة أن تكسب جمهوراً غير واع و لا متفتح يمكن أن يسير وراء كل ناعق بمقدار ما تسعى إلى كسب « طفل ، ذكى ، لامع فيه من النجابة والحيوية والعبقرية مايمكنه من السيطرة على زمام الأمور السياسية كما وقع لسانجورج السنغال ، أو أن يسيطر على زمام التوجيه الروحى باعتباره مسلماً سابقاً عرف الطريق إلى اليسوع وسار على هداه .

الثانى : كما وقع للطفل بوساما أحمد نامى الذى احتضنته الارسالبات التبشيرية طفلا مسلماً فى الفلبين فأدخلته المدرسة الابتدائيـــة و علمته اللاهوت و اللغة اللاتينية ، ثم عاد إلى بلاده فى التاسع و العشرين من شهر ايلول عام ١٩٦٥ ليستقبل فى حشد من النصارى باعتباره الأب بطرس باساما أحمد نامى ، وهو المسلم الأول والوحيد الذى يرتدى زى القسيس الكاثوليكى.. وباشر الرجل عمله واعظاً فى بنى قومه ولكن باسم اليسوع لا باسم فاطر السموات والأرض ، تعالى الله عما يشركون !..

(١) العدد ١٨٤٧ من مجلة روز اليوسف تاريخ ٤ - ١١ - ١٩٦٣ ص ١٦ .

(٢) التبشير والاستعمار للدكتور عمر فروخ والدكتور مصطفى الخالدى الصفحة ١١ الطبعة الثالثة .

- الدعوة الاسلامية ليست ضرورة خلقية و حاجة اجتماعية و مصلحة بشرية كما يزعمها بعض المسحورين الذين يخافون على أنفسهم تهمة الرجعية فى كل حين بل إنها قبل كل شئ ، الطريق إلى الدار الآخرة ، « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون »
- إنها تختلف عن سائر الدعوات فى التفكير و المنهج و العمل ، و تجمع بين الشعور و الوجدان والعاطفة و العقل ، و تهتم بالفرد الواحد مثلما تهتم بمجموعة الأفراد .

الدّعوة الإسلاميّة

- إنها دعوة الأنبياء و المرسلين ، والخلفاء الراشدين ، و الصحابة و التابعين و هى تريد أن تحافظ على خصائصها وسماتها ، و قسماتها و ملامحها رغم سيل المادية الجارف ، ورغم سيطرة القيم الغربية ، ورغم « العـلم المزعوم الموهوم » و رغم ما يعانيـه « المتحضرون » من ضيق الصدر و مركب النقص و ما يعتريهم من خجل و حياء واستنكاف عن تمثيل هذا الطراز القديم الكريم ، الذى وعد الله به النصر المبين فى الدنيا و الدين .

اجتماعية الأخلاق ودورها فى المجتمع

الدكتور محمد آصف القدوائى
« مغرب »

الانسان اجتماعى بطبيعته . فانه يولد فى الاجتماع ويعيش فيه ويموت ، و قد سماه الفيلسوف أرسطو « حيواناً اجتماعياً » إن حياته من المهد إلى اللحد ، تتقيد بعلاقات إجتماعية متعددة ، و هو لا يستغنى عن هذه العلاقات والروابط فى أى حين ، وذلك لأنها جزء من بشريته فلا يستطيع أن يعيش كانسان إذا تحرر منه و تخلى عن طبيعته الاجتماعية ، و قد قال أرسطو : إن الله هو الذى يتعالى عن الاجتماع أما إذا استغنى عنه الانسان فلا فرق بينه و بين الحيوان المفترس ،

إن اختصاص الانسان بالاجتماعية كون حوله هالة من الحقوق و الواجبات ، و أعاد عليه حقوق البيت و الجوار و المدينة و الوطن ، و حق الدنيا بأسرها ، كما يعود على كل ذلك حقه أيضاً ، وكلما أحسن الانسان فى تأدية هذه الحقوق و الواجبات ، و نجح فيها نال إعجاباً و تقديراً لدى الناس ، و اعتبر انساناً له قيمته و أهميته فى الناحية الاجتماعية .

و هناك مبدءان لوضع الأفراد و علاقات المجتمع و وشائجه على أسس العدل و الفضيلة و السلام والوئام ، وهما القانون ، و الأخلاق ، و على هذين المبدءين تنحصر سلامة الحياة الاجتماعية و نظافتة .

كل ديانة فى هذا العالم تقوم على أساس من الخلق . أما الاسلام فانه يعير للخلق أهمية كبيرة ، وبعده واجباً يفوق العبادات بعض الأحيان . فبينما اعتبر كل اثم سوى الشرك صالحاً للعفو و الغفران أكد أن التقصير فى أداء حقوق الناس لا يغتفر إلا من قبل من وقع فى حقه الظلم و البخس .

إن الاسلام يعتبر مكارم الأخلاق علامة الايمان ونتاجه وثمرته ، فكلما تخلق المسلمون بأخلاق حسنة قوى إيمانهم و حسنت عبادتهم . و لكن الذين يدعون الايمان و يهتمون بعبادة الله دون أن يتخلقوا بمكارم الأخلاق فلا يقومون بما يعود عليهم من حقوق الأهل والأولاد ، والأقرباء و الأصدقاء ، والجيران و المواطنين والأسرة الانسانية ، و حتى لا يحسنون معاملتهم مع الحيوانات و البهائم لكان ذلك دليلا عملياً على أن إيمانهم لم يتجاوز ألسنتهم إلى قلوبهم ، إن أخلاقا مقياس لقوة الايمان التى نتحلى بها ، ونستطيع أن نرى صورة صادقة لقلوبنا وأرواحنا ماثلة فى مرآة أخلاقنا .

و فى أحاديث الرسول ﷺ ما يشير إلى أهمية مكارم الأخلاق و قيمتها ، ولا شك فى أن الاخلاق الحسنة لاتبعث فى القلوب خصائص الايمان وحدها ، وإنما تبلغ بصاحبها إلى تلك المكانة العالية التى لا يصل إليها إلا باكثار العبادة ، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً »

إن تعاليم الاسلام الخلقية - كسائر تعاليمه الأخرى - بالغة فى الاحاطة و الجمع إلى قصوى درجة من الكمال . أما الخصيصة الثانية فهى

أن الغاية التى يهدف إليها الاسلام من توجيهاته الخلقية هى جلب رضا الله ، و هكذا تتحول الخصال الخلقية الحميدة و الفعال الجميلة إلى نوع من العبادة يتخلص عن جميع الشوائب النفسانية و ما إليها ، إن العبرة فى الأعمال من وجهة نظر الاسلام بالنيـة و بما ينطوى عليه القلب ، ولذلك فان الأعمال الحسنة التى تتبعها عوامل سيئة من النفعية والانتهازية و الرياء والاستكبار ، و الطمع و التملق لا تبقى موضع إعجاب عند الله و لا عند الناس ، ولا قيمة لأى عمل صالح فى نظر الله يباشره الانسان و ينجزه ليرضى ضميره ويبتهج به قلبه أو يبعث فى نفسه نشاطاً وفرحاً أولكى يعرفه الناس ويستفيدوا منه ، دون أن يفكر فى أحكامه أو ينوى فيه أجر الآخرة و ثوابها .

إن اختلاف طبائع الانسان وتنوعها و ما يترتب على النفوس من انفعالات مختلفة بحكم الظروف و الأحداث يتطلب أن يكون هناك نظام خلقى متزن عادل يجمع بين الشدة و اللين ، و الروعة و البهجة بتناسب و تلاؤم ، ويمثل القوة والتصلب كما يمثل الحب و الشفقة ، و لا يكون ضعيفاً مستسلماً يخضع أمام الأحداث ، و الوقائع فقط ، و لا متصلباً جامداً يأخذ على النفوس أخذ عزيز ، لامرونة فيه ولا هوادة ، و إنما يقارن بين الناحيتين كلتيهما و يتخذ بينهما طريقاً عادلا وخطاً متزناً حتى يتجلى فيه كل شئ من العدل والرحمة، والهمة والثبات، و القوة والحركة والحرية والحق ، والعزم والجد ، و التواضع والعفو، والحلم و الصبر ، و الحب و الاستغناء، و القناعة و التوكل ، و السخاء والمروءة، و العفة والحياء، و الرجولة و الشجاعة ؛ و السماحة و رحابة الصدر و ما إلى ذلك

من خصائص انسانيـة جميلة مما لا يقضى على قوى الغضب و الشهوات حتى يتحول العالم إلى مقابر واسعة، ولا يساعدها فى السيطرة على النفوس حتى يتسفل الانسان إلى مصاف البهائم و السباع .

و لا بد لهذا النظام الخلقى أن يشرف على تربية القوى النفسة و يوجهها إلى خير و يمنعها عن الوقوع فى الافراط و التفريط ، وقد أخطأ أتباع المسيحية حينما اعتبروا القوى الجنسية النفسانية بذاتها سيئة و ذلك ما جعل Nietzsche أعرض عن فلسفة المسيحية الخلقية ، و ما لم يثر Protestantism على هذه الرهبانيـة الخلقية و أحل القوى النفسية كلها محلا لائقاً فى الحضارة والأخلاق ، كانت العقلية الأوروبية تتخبط فى الظلام .

و الحقيقة أن هذه القوى النفسية بذاتها لا تحمل شراً بل الحق أنها مبعث كثير من الخلال الخلقية الحميدة، كالشجاعة و الطموح والثبات و الرجولة و الحب وما إلى ذلك ، مما لا تحلو الحياة بدونه فحسب وإنما تتحول المثل العليا و القيم الخلقية بدونه هيكلا لا روح فيه وكلمة ليس لها معنى ، أما الشر و الفساد و الفوضى الخلقية فتنشأ بوضع هذه القوى فى غير محلها، إذاً لابد من تعيين محلها و توجيهها إلى الجهة الصحيحة ، كما يلزم تعيين الاتجاه الصحيح بحيث إذا اتجه إليـه تيار الحياة المتدفق بالنشاط و القوة سبب بهجة المجتمع و روعته ، و لا حاجة إلى تجفيف منابع القوى النفسية فى الانسان ، لأن الحضارة لا تعيش بدونها بل تذبل و تمـوت و أقفر الكون ، تلك هى غاية الأخلاق فى الاسلام و ذلك هو فضلها الكبير .

الخصيصة الثالثة : لتعاليم الاسلام هى أنها تشمل جميع منطلقات الحياة و تحيط بكل جزء من الخير و الشر ، و بينما حصر الأنبياء و معلو الأخلاق رسالاتهم و دعواتهم بحدود جغرافية خاصة و بزمن خاص محدود ، جاء رسول الاسلام محمد ﷺ بنظام شمل كل الأمم والعصور، وجاء يحوى نظاماً خلقياً عاماً بين للناس مواضع الحسن و القبح و الصلاح و الفساد . فأمر بشئ و نهى عن آخر ، حتى لم يعد ركن من الأحوال الخلقية والنفسية يحتاج إلى توجيه أوهداية ، كما يقول العلامة السيد سليمان الندوى : فى كتابه « سيرة النبى » إن الشمول و الجامعية الذى اتخذه الاسلام فى شرح مبادئه و أحكامه يقضى على المنكرات كلها . و يساعد فى تعميم مظاهر الحسنات و المعروف ، بينما تشرح الديانات الأخرى أجزاء هذه الكلية شرحاً لا يعدو الغموض و الاجمال » .

و هناك فضل آخر للخلق الاسلامى على جميع النظرات الخلقية مما لا يوجد له نظير فى التاريخ الانسانى ، هو أسلوب النبى عليه الصلاة و السلام فى التعليم و التربية ، فقد جمع بين القول و العمل جمعاً كاملا جعل حياته تفسيراً واضحاً لتعاليم القرآن .

و لا أمل لنجاح من فوض الله سبحانه و تعالى إليه تعليم البشر و تزكيتهم إذا لم يمر بمشكلات الحياة وعوائق المجتمع ، لأنه إذا لم يكن ذلك عادت تعاليمه مجموعة من النظريات و الفلسفات دون أن تحتل مكانة عملية لدى الناس . و مما لا مرية فيه أن شخصية الرسول عليه الصلاة و السلام تحمل من الجامعية و الشمول ما لا يوجد له نظير فى رجال

الدعوات و الرسالات الأخرى فان سيرته ﷺ تتجلى فيها جميع ملامح الحياة . و قد مر عليه كل شئ من السراء و الضراء والشدة و الرخاء ، والصداقة و العداء فى أتم صورة هى مرآة للمسلم فى كل حين و مكان .

لقد كان الرسول عليه الصلاة و السلام يقوم بأداء جميع واجباته ومسئولياته خير قيام ، بدون أن ينقص حق واحد من أجل آخر ، فانه هو الذى صام النهار و قام الليل ، وحل العقد الدولية والسياسية ، و اعتكف فى غار حراء ؛ و تمتع بالحياة المنزلية ، و بلغ رسالات الله و دعا الناس إليها ، و أسس دولة إسلامية مستقلة فى المدينة . كما كان عارفاً بمواضع الشدة و اللين ، فاذا خاف تعدياً لحدود الله لم يحجم عن الشدة، وكان غاية فى اللين والرفق ، حيث كان الأمر أسهل واتصل بالفضائل و المستحبات ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت ما خير النبى ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم . فاذا كان الأثم كان أبعد هما منه ، والله ما انتقم لنفسه فى شئ يؤتى إليه قط ، حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله (١) .

و عن عائشة رضى الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالوا من يكلم رسول الله ﷺ و من يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فكلم رسول الله ﷺ ، فقال : أتشفع فى حد من حدود الله . ثم قام فخطب ، قال أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، و إذا سرق الضعيف فيهم أقاموا

(١) الجامع الصحيح البخارى ، كتاب الحدود .

عليه الحد ، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرقت لقطع محمد ﷺ يدها (١) .

ومن أمثلة اللين والرفق مارواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا السام عليكم قالت : عائشة ففهمتها فقلت و عليكم السام و اللعنة ، قالت : فقال رسول الله ﷺ : مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق فى الأمر كله ، « و عن أنس بن مالك أن اعرابياً بال فى المسجد فقاموا إليه ، فقال رسول الله ﷺ : لا تزرموه ، ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه »

و سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق النبى ﷺ فقالت : كلاماً وجيزاً جمع بين جميع صفات الخلق ، إنها قالت : كان خلقه القرآن ، وقد صحبه على رضى الله عنه منذ صغره إلى أن توفى النبى ﷺ فسأله ابنه الحسين عن سيرة رسول الله ﷺ ، فقال : كان رسول الله ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ و لا غليظ ، و لاصخاب و لا فحاش و لا عياب و لا مشاح ، يتغافل عما لا يشتهى ، و لا يؤئس منه و لا يجيب فيه » (١) و عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لى أف » (٢)

تزخر حياة النبى ﷺ بما يدل على حسن خلقه و رفقه و تواضعه و عطفه على الناس ، ولم يشهد بذلك أتباعه و الذين يحبونه من المسلمين فحسب بل و قد شهد به أعداؤه و معارضوه ممن لا يتصلون به بنسب دينى ولاصلة روحية ، يقول الأديب الانجليزى الشهير Thomascarlyle .

(١) الجامع الصحيح البخارى . كتاب الحدود .

« لقد كان فى عيشه ومنزله كعامة الناس ، وكان غذاؤه العام خبز الشعير والماء . وقد يمضى شهر ولاتوقد فى بيته النار ، وكان يخصف نعاله ويرقع ثوبه بيده ، ولكن امبراطوراً عظيماً لم ينل من الطاعة والاجلال مثل ما نالت عباؤه المخيطة بيده من الاجلال و الاعظام »

و يقول مؤلف تاريخ انحطاط الروم « ايدورد جبن »

Edwardgibbon

« لم تسمح نفس محمد ﷺ بأبهة الملوكية تجد إليه سبيلا . أيام غلبته و سيطرته ، فقد كان الرسول عليه الصلاة و السلام يباشر أعماله بيده ، يوقد المؤقد ، و يكنس البيت ، و يحلب الشاة ، و يخيط الكساء و يخصف النعال . و كان متواضعاً فى طعامه يأكل ما تيسر بدون تكلف أو تصنع ، و يستنكر مجاهدات الرهبانية التى تأمر صاحبها بترك الطعام و الشراب و ملذات الحياة ، كان يضيف أصحابه فى مناسبات خاصة ولكنه فى حياته الخاصة يعانى من الجوع والشظف ما لا يعرفه كثير من الناس »

ويصف المؤرخ الفرنسيسى البروفيسور سيدليوت (Prof: Sedillot) أخلاق النبى عليه الصلاة و السلام و شمائله فيقول :

« كان دائم البشر ، لين الجانب ، قليل الكلام ، كثير الذكر ، يمقت اللغو و الفضول ، سديد الرأى ... و كان عادلا يحب الفقراء و المساكين و يعاشر بينهم فى سرور و ألفة ، لا يحتقر الفقير لفقره ، و لا يفضل عليه الملوك لغناهم »

و يتحدث مارما ديوك بكثال « (Marmaduke Picthall)

عن النبي ﷺ :

« بالرغم من أنه كان يملك زمام الحكم يعامل الناس معاملة الأخ لأخ ، و لم يكن بحاجة إلى الحرس والشرف ، يطوف فى الناس بسذاجة و حرية . كمصلح و قائد ، و كصديق مجرب »

و يقول المؤرخ الالمانى جستاف ويل (Gustavweil)

« لقد كان محمد ﷺ نموذجاً مثالياً فى بنى قومه . وكانت له أخلاق عالية ، يعيش فى سذاجة من الحياة ولم يكن يسمح أصحابه باجلال و اعظام ، و لم يكن يستخدم خادمه فى عمل ينجزه بنفسه ، يشاهده الناس فى الأسواق يشترى الحوائج . وفى البيوت يرقع الملابس ، ويحلب الشاة ، يدخل إليه من أراد فى كل و قت . وكان يعود المرضى ، و يواسى الناس ، و هو غاية فى السماحة والبذل ، وبرغم ما كانت تأتيه من الهدايا لم يخلف ما لا و لا ضيعة ، و ما تركه كان صدقة »

إننى لا أذكر هذه الشهادات لدعم مكانة الرسول ﷺ والاشادة بأخلاقه ، فانه غنى عن كل ذلك ، وإن مكانة النبوة أرفع من أى مدح أو ثناء . و إنما الغرض من ذلك هو لفت النظر إلى مركز الاسلام فى توجيه المثل الخلقية العليا إلى المجتمع الانسانى . و لا شك أن لشهادة الأعداء عبرة ولاعترافهم بالواقع قيمة . والفضل ما شهدت به الأعداء .

انحطاط المسلمين نتيجة لعقم المتجددين

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميله
تعريب : السيد ضياء الحسن الندوى

إن الصراع بين المجتمع العلمانى للحضارة الغربية و بين الاسلام ليس بشئ حديث ، فقد تفطن لهذا الخطر « الامام الغزالى رحمه الله قبل تسعمأة سنة من يومنا هذا، فقال :— إنى رأيت طائفة يعتقدون فى أنفسهم التميز عن الأتراب و النظراء بمزيد الفطنة والذكاء قد رفضوا طوائف الاسلام والعبادات واستحقروا شعائر الدين و وظائف الصلات والتوقى عن المحظورات ، واستهانوا بتعبدات الشرع وحدوده ، و لم يقفوا عند توقيفاته و حدوده و قيوده ، بل خلعوا بالكلية ربقة الدين بفنون من الظنون ، يتبعون فيها رهطاً يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجا و هم بالآخرة هم كافرون ، ولا مستند لكفرهم غير سماع الغى كتقليد النصارى واليهود إذ جرى على غير دين الاسلام نشؤهم وأولادهم، وعليه درج آباؤهم و أجدادهم . ولا عن بحث نظرى صادر عن التعثر باذيال الشبه الصارفة عن صوب الصواب والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السراب .

كما اتفق لطوائف من النظار فى البحث عن العقائد و الآراء من أهل البدع والأهواء . وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسامى هائلة كسقراط

و بقراط وأفلاطون و ارسطاطاليس وأمثالهم . وإطناب طوائف متبعهم و ضلالهم فى وصف عقولهم و حسن أصولهم و دقة علومهم الهندسية والمنطقية و الطبيعية والالهية ، واستبدادهم بفرط الذكاء والفطنة واستخراج تلك الأمور الخفيـة و حكايتهم عنهم أنهم مع رزانة عقولهم و غزارة فضلهم منكرون للشرائع والنحل . وجاحدون لتفاصيل الأديان والملل ، و يعتقدون أنها نواميس مؤلفة و حيل مزخرفة .

فلما قرع ذلك سمعهم و وافق ما حكى لهـم من عقائدهم طبعهم تجملوا باعتقاد الكفر تحيزاً إلى غمار الفضلاء بزعمهم ، و انخراطاً فى سلكهم و ترفعاً عن مساعدة الجماهير والدهماء . و استنكافاً من القناعة بأديان الآباء ظناً بأن اظهار التكايس فى النزوع عن تقليد الحق بالشروع فى تقليد الباطل جمال ، و غفلة منهم عن الانتقال إلى تقليد عن تقليـد خرق و خيال ، فأية رتبة فى عالم الله أخس من رتبـة من يتجمل بترك الحق المعتقد تقليداً بالتسارع إلى قبول الباطل ؛ دون أن يقبله خبراً و تحقيقاً .

و البله من العوام بمعزل عن فضيحة هذه المهواة فليس فى سجيتهم حب التكايس بالتشبه بذوى الضلالات و البلاهة أدنى إلى الخلاص من فطانة بتراء ، و العمى أقرب إلى السلامة من بصيرة جولاء . . . . .

و قد رد (ارسطاطاليس) على كل من قبله حتى على أستاذه الملقب عندهم بأفلاطون الالهى ثم اعتذر عن مخالفته أستاذه ، بأن قال أفلاطون صديق . و الحق صديق ولكن الحق أصدق منه . . . .

و إنما نقلنا هذه الحكاية عنهم ليعلم أنه لاثبت و لا إيقان لمذهبهم

عندهم ، وأنهم يحكمون بظن وتخمين من غير تحقيق و يقين ، ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور العلوم الحسابية والمنطقية ، ويستدرجون به ضعفاء العقول ، و لو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين نقية عن التخمين كعلومهم الحسابيـة المنطقية ، لما اختلفوا فيهـا كما لم يختلفوا فى الحسابية (١) .

و التى نقضها الغزالى بمثل هذه القوة الفعالة ، لابد أن تكون هى الفلسفة المتشابهة المتماثلة التى ظلت تهدد العالم الاسلامى اليوم ، و ذلك - من غير شك - الصعيد الذى قامت عليه الحضارة الغربية حين صرحت بأن الانسانيـة قادرة على إدراك الكمال باستعمال العقل البشرى فحسب ، استعمالا صحيحاً ذكياً من غير استعانة أو تصديق من أى قوة فوق الطبيعة .

و قـد رسم أمير على بأتم وضوح فى كتابه « روح الاسلام » صورة الاتصال المباشر بين معتزلة أيام الغزالى و بين العصريين من المصلحين المعاصرين :

« بلغت الفلسفة العربية أوجها فى ابن رشد الذى فصلته القرون الستة من الرسول ﷺ ، و قـد اتسع الفهم العربى فى كل جهة اثناء تلك القرون . فان رجالا أمثال ابن سينا وابن رشد قد فكروا فى ضوء تجاربهم الواسعة فى كل ما شغل الفكرة البشرية عن مسائل مهمة جداً فى هذه الأيام .

وخطط آراءهم بحيث لاتختلف إلا يسيراً عما اعتقد به احدث العلماء

(١) تهافت الفلاسفة ، للامام الغزالى رحمه الله طبع فى مصر .

المتقدمين (فى أوربا و أمريكا) بدقـة عقلية منطقية ، قد زعم جميع هؤلاء المفكرين بأنهم مسلمون كما اعترف بكونهم كذلك أذكى رجال ذلك العصر و أفطنهم عقلا و فراسة ، إن ابن سينا رفض باستخفاف وغضب تهمة الالحاد و الكفر التى قذفه بها المتعصبون الحاسدون فى صيته (١)

و قد انتشر الاعتزال بسرعة مدهشة بين جميع صفوف المفكرين و المثقفين فى كل بقعة من بقاع الامبراطورية ، حتى تسيطر على المجامع و الكليات الأندلسية . كما شجع المنصور و من ورثه « العقلية » . . . . و إن المامون الذى يستحق لقب « العظيم » أكثر من كل ملك آسيوى آخر ، قد اعترف بحبه و ارتباطه بالمدرسة المعتزلية ، و أن أخاه وابن أخيه المعتصم و الواثق نسيباً ظلا يشمران عن ساق الجـد لينفثا روح « العقلية » فى العالم الاسلامى بأسره .

و قد احرزت الفلسفة العقلية تحت إشرافهم استيلاء لعلها لم تكد تحرز مثله ، فى البلاد الأوربية فى عصرنا هذا أيضاً ، لقد ألقى العقليون مواعظ فى المساجد و محاضرات فى المدارس و الكليات فى سبيل نشر « العقلية » ، و كان فى أيديهم تصويغ أخلاق شباب الأمة كيفما شاؤا ، و ذلكم الذين كانوا من أهم المستشارين للخلفاء فانهم من حيث كونهم أساتذه و أطباء و عمال أقاليم مختلفة و وزراء قد عاونوا فى نتاج وتقدم أمة عربية إسلامية (٢) .

اعتقد ابن الرشد أن المـرأة يجب أن تستوى الرجل فى جميع مجالات الحياة كما ادعى لها الكفاءة المساوية فى الحرب ، و الفلسفة ،

(١) ص ١ - ٤٣٠ (٢) ص ٤٣٢

والعلوم ، و قد سرد فى هذا الصدد أمثلة من النسوة المحاربات فى اليونان (القديمة) و الجنديات فى الجزيرة العربيـة (الوثنية) و أشار إلى فضلهن فى الموسيقى تائيداً لما أعتقد بأن المرأة إذا سنحت لها نفس تلك الفرص والامكانيات التى تسنح للرجال وحصلت على نفس التربية والتعليم كما يتيسر للرجال أصبحت تلك المسكينة مساوية لزوجها بأصدق معنى الكلمة مثيلة لأخيها فى جميع العلوم و الفنون .

و كذلك أسند ابن الرشد تخلف المرأة و نقصها إلى عيشة ضيقة بائسة تعيش فيها هؤلاء النسا . . . . . و كثيراً ما كتب ابن رشد حول الاتحاد بين الدين و الفلسفة ، فان مترجمه الأخير « ارنست أى رينان » (Earnest E. Renan) يقول : لا مانع هناك من أن نعتقد بأن ابن رشد كان مؤمناً مخلصاً للاسلام ، خصوصاً حينما نرى قلة مايوجد من مواد فوق الطبيعة فى المبادىء الأساسية لهذا الدين ، وكيف ماقترب (الاسلام) إلى الاعتقاد الخالص بالله وحده مع إنكار الوحى و النظم الدينية » (١)

إن الفكرة الأساسية لهؤلاء الفلاسفة كانت نفس الفكرة التى تأصلت فى العصر الحديث ناشئه عن اتساع العلم الطبيعى ، و لكنهم لم يكونوا - كما سماهم أعداؤهم - ملحدين . . . . إنهم كانوا - فى الحقيقة - مفسرى عقيدة التعليل ومذهب اللاأدرى . و يتبين من ذلك أن إسلام محمد ﷺ لا يتضمن فى نفسه بشئ يسد سبيل التقدم أو ارتقاء الانسانيـة العقلى و هنالك ماتت الفلسفة - منذ القرن الثانى عشر الميلادى - حتف أنفها

(١) ص ٤٣١ .

تقريباً بين اتباع الاسلام ، وغلبت على الجماهير نوع من الحركة الأسقفية ضد العقلية ؟ . . . (١)

هكذا تيسر للمؤلف إخفاء الالحاد تحت ستار الايمان ، و فى ضوء هذا البحث الآثم المشئوم يترآى ابن رشد أفضل فى شخصه من عمر بن الخطاب ، وإنه ليس الغرض الحقيقى للاسلام أن ينقذ كافة البشر إنقاذاً نهائياً فى الآخرة بامتثال تام للوحى الالهى ، بل و غرضه الوحيد أن يزيد فى الرخاء العالمى و يثير الذكاء و البراعة فى الفنون و العلوم ، هكذا لا يبقى للاسلام كيانه المستقل بذاته بل لا يدوم الاسلام إلا كواحد من الوسائل الكثيرة المختلفة للقيام بخدمة أهداف الحضارة الغربية المعاصرة .

و إن نفوذ الحضارة الاسلامية - كما يراه السيد أمير على - كان - من غير واسطة - متوقفاً على ما يضاهيه من تغلب الفلسفة المعتزلة كما نتج من هزيمتها انحطاط العالم الاسلامى .

« و لا يمكن - إلا نادراً - الافراط فى تقدير الصفة الرجعية لما استعمله أبو الحسن الأشعرى و أحمد الغزالى من نفوذ وتأثير . . . و لكنه كان تمكننا بفضل الأشعرى و الغزالى أن يكون العرب أمة كاليليوز (Galileos) و كپليرس (Keplers) و نيوتن (Newtons) ، إنهم - بانذارهم من العلم والفلسفة وبتحذيرهم المستمر من أنه ليس هناك علم جدير بالتحصيل سوى علم الشريعة و علم اللاهوت - منعوا تقدم العالم الاسلامى و صدوه عن سبيله ، أكثر مما فعل أحد غيرهم من

(١) ص ٤٣٥ - ٤٣٤ .

علماء و فلاسفة مسلمين . و لم يزل مثالهم معروفاً - بالصراحة - حتى يومنا هذا كسبب للجمود و الغباوة (١)

و قد بالغ المؤلف فى الثناء - كما هو مألوف جداً فى هذه الأيام بين المستشرقين الغربيين - على من عساهم أن يبيدوا القيم الاسلامية فدعاهم « تقدميين ، و متنورين » و قد عاب من وقفوا حياتهم استبقاء لهذه القيم كاملة غير منقوصة فسماهم « متعصبين رجعيين »

« لا بد لنا من أن نقارن بين الوضع الحديث للكنيسة المسيحية التى تزعم أنها ارثوذكسية صادقة فى العالم المسيحى ، تهتدى دائماً إلى الصراط المستقيم ، و بين الوضع الاسلامى الآخر ، الذى يزعم مثل ما زعمته الكنيسة ، و إن الكاثوليكية - منذ تأسسها فى القرن الرابع الميلادى حتى ثورة المصلح الشهير مارتين لوثير (Martin Luther) ظلت تثبت نفسها أعدى عدو للفلسفة و العلوم والمعارف حتى أودعت عشرة آلاف نسمة بريئة إلى نيران ملتهبة حمراء ، كما أضطربت وصرخت غيظاً و ألماً بلدغات الفكرة الحرة المطلقة فى فرنسا الجنوبية . و عطلت مدارس العلوم الدينية العقلية عنوة .

و ما زال الاسلام طوال القرون الخمسة يعاون فى الارتقاء العقلى الحر. ولكن - من سوء الحظ - ابتدأت هناك حركة رجعية اتهمت مصلحى العلوم و الفلسفة جميعاً بأنهم خارجون عن الاسلام ، أفلا يمكن لكنيسة أهل السنة ، أن تتعظ و تعتبر بالكنيسة المسيحية ؟ فليس هناك فى تعاليم محمد ﷺ شئ يمنع ذلك ، فلماذا لا تتصل الكنيسة

(١) أيضاً المصدر السابق ص ٤٨٧ .

السنية العظيمة من القيود البالية و تسمو إلى حياة جديدة ؟ و قد مهدت له حركة الاعتزال سبيلا إلى ذلك (١)

و قد بلغ أمير على فى غرامه بالحضارة الغربية العصرية إلى حد لا يزال - فى كل حين و آن - يقارن معها القيم الاسلامية بأسلوب عدائى غير موافق . إنه اتخذ تقصير الثقافة الاسلامية فى المطابقة - حذو النعل بالنعل - مع المظاهر المختلفة من تطور التاريخ الأوربى دليلا و برهاناً على عدم كفاءة الثقافة الاسلامية . و ليس ما يدافع عنه السيد أمير على - فى الحقيقة - هى القيم الاسلامية . بل تلك هى القيم - فحسب - التى يعتبرها و يوقرها الغرب المعاصر .

إن الاستمرار المباشر بين الفلاسفة المعتزليين فى أيام الغزالى وبين المعاصرين من المصلحين العصريين قد رسم صورة نموذج موافق امتاز به التاريخ الاسلامى أجمع . و على جانب هناك رجال يريدون أن يفسدوا عقيدة الرسول « بتطوير تعديلات و تحسين » من تلقاء البشر . مع ما استبقوا من إخلاصهم للاسلام ولو إلى حد الاسم فقط ، وعلى جانب آخر أولائك المجددون الراسخون الذين وقفوا حياتهم للاحتفاظ بخصائص الاسلام و للقيام بنشرها و تبليغها بصفاتها الغير المشوبة ، فلو انتصر المفسدون على المخلصين ؟ (كما انتصروا فى أديان أخرى) لما بقى الاسلام أفضل فى شئ من الهندوكية و البوذية ، و اليهودية أو المسيحية و لفسد (لاسمح الله) كتابنا الأقدس القرآن العظيم تماماً و وقع فيه اختلاف كثير و تحريف فى غير رجاء كما وجدنا فى التراجم الحاضرة

(١) ص ٤٥٤ .

الانجيل و للتوراة و الانجيل الموجود فى الوقت الحاضر .

وكان من فضل الله و منه أن المجددين ما زالو ينهضون فى كل عصر ومصر ، ليحتفظوا بطهارة الاسلام و خلوصه . وليقاوموا كل هجوم ضد الاسلام ، داخلياً كان أم خارجياً ، و من أبرز هؤلاء المجددين المجاهدين فى سبيل الله الامام أحمد بن حنبل ، والامام أبو حامد الغزالى ، و الامام الحافظ ابن تيمية ، و الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى ، رحمهم الله ، كامثلهم فى حركة التجديد فى أقرب عصرنا الحديث السنوسيون من أفريقيا الشمالية العربية ، و حركة « الاخوان المسلمون » للشيخ حسن البنا رحمه الله (١٩٠٦ - ١٩٤٩) و الجماعة الاسلامية للأستاذ السيد أبى الأعلى المودودى ، وكلهم فى عراك نظرى شديد مع المبتدعة الذين ذمهم الرسول ﷺ .

هكذا فان أهداف هؤلاء المتجددين المعاصرين و فكرتهم كفكرة أسلافهم المعتزلة و أهدافهم سواء باللزوم ، و ليس بينهم اختلاف إلا أن السابقين كانوا دون الآخرين فى العقل و الذكاء .

نظرات فى استراتيجية العمل الاسلامى

بقلم الأستاذ توفيق

بأى حق نطرح هذا السؤال ؟ أما نزال بحاجة إلى طرحه ؟ أما يزال لطرحه مغزى ؟ و نحن نجيب : أجل و السبب هو : أنه ليس لدينا نفس التصور لذلك الذى نريد ، أو نفس التصور لذلك الذى يجب أن نعمله ، ما هى مهمتنا ؟ هل نعرفها حقاً ؟ و هل نحن و اعون لها ؟ إذا كان الجواب نعم فما هى هذه المهمة ؟ و إذا كان الجواب لا . فان من حقنا أن نتساءل فماذا نعمل نحن إذن ؟ و فيم نتناقش ؟ و لماذا نصدر مجلات ، ونلقى محاضرات و .. و .. و ..؟ وبكلمة واحدة : لماذا الحركة الاسلامية على الاطلاق ؟

بماذا نفترق عن المسلمين البسطاء الذين استغلق عليهم كل شئ ، ففروا إلى ضرب من الرهبنة أو إلى نوع من الاعتقاد بجبرية مدمرة ، منتحرين بذلك روحياً أو عقلياً ؟ و بماذا نفترق أيضاً عن أولئك الذين خرجوا على الاتجاه الاسلامى ، و الذين نسميهم أحيانا المنتسبين إسماً للاسلام (Nonmoslems) والذين استغلق عليهم هم، أيضاً كل شئ. ففروا إلى ضرب من الالحاد السياسى - لا الفلسفى - منتحرين بذلك انتحاراً أخلاقياً ، تمثل فى موقف لا ينسجم مع دور أمتهم التاريخى ، أعنى :

موقف اللامبالاة ، سواء فى صورته السلبية - العبث - أو الايجابية - الانسلاخ - فى فترة من تاريخ أمتنا يود الفرد فيها لو كانت له ألف عين تتحرى ، و ألف عقل يفكر ، و ألف يد تعمل ، لأنه حيثما تلفت لا يرى إلا اليد الشلاء ، و العقل الساكن ؛ و العين المغشاة ... فى فترة من تاريخنا يود الشاب منا لو يعرق لحمه و يسحق عظمه ، أو يطوى على الفقر و العذاب عمره كله ، فى سبيل الظفر و لو بيوم واحد من عمره يرى فيه أمته فى مكانها الذى تستحق ، أقول : ما الذى يميزنا عن كل هؤلاء ؟ الجواب : وعينا ، و أعنى بالوعى أن الأشياء لم تعد مستغلقة علينا بل هى قابلة للفهم ، ليست ألغازاً يستحيل إدراكها ، و لا هى بديهيات لا تقبل المناقشة ، بل هى مشكلات !

و من شروط الوعى أن نكون منفتحين على الحوار مع الجميع ، و ما أنفع الحوار وأجداه مع جميع أبناء أمتنا . المثقفين ثقافة صحيحة ، و عميقة ، و حية ، و ما أعقمه مع سواهم ! ذلك أن هنالك حقيقة يعرفها الجميع ، وهى أنه منذ داهمنا الخطر الخارجى نهضنا جميعاً للدفاع ، فحمل كل منا السلاح الذى فى يده ، أو الذى توفر له ؛ فى المعركة لا نستطيع فحص أسلحتنا . و قد اقتضى منطق الدفاع تراشق التهم مع الخصم . و مع المدافعين أنفسهم ، فلنتخلص إذن من موقف الدفاع ، الذى أملته ردود الفعل السوية فينا إزاء اعتداء خارجى ، إلى موقف ننتبه فيه لأنفسنا و نتفحص فيه أسلحتنا ، فننتقل بذلك من طور الحركة العشوائية التى تمليها الغريزة ، إلى مرحلة العمل البناء الذى يمليه التفكير ، فنكف بذلك عن الاتهام إلى الالتزام بمسؤولية الكلمة و عفتها .

و أهم التهم التى تراشقنا بها مع غيرنا هى : موقفنا من الغرب ، فما من بلد إسلامى فيما أعلم إلا و انقسم فيه المدافعون إلى فريقين ؛ الاتجاه الاسلامى المتمثل بالحركات المطالبة بالاسلام على اختلاف صورها و الاتجاه المناهض له المطالب بالتغريب ، و قد اتهم أصحاب الاتجاه الاسلامى الاتجاه الآخر بجهل أصول الفكر الاسلامى ، و أهمية واقع الاسلام التاريخى ، و هذا حق و صحيح ، واتهم أصحاب الاتجاه المناهض أصحاب الاتجاه الاسلامى بغفلتهم عن واقع العصر الذى يعيشون فيه ، و هذا قول لا يخلو من الحق أيضاً ! أما جهلهم بالاسلام فسببه أنهم حكموا عليه من الصورة المشوهة التى آل إليها المجتمع الاسلامى ، صورة الانحطاط و الجمود و التخلف ، فانصرفوا عنه و قد نفضوا أيديهم منه إلى الغرب ، و قد بهرتهم صورة التمدن للمجتمع الغربى الحديث ، و مع أننا كنا نتألم من نفس الصورة بل و ربما أكثر منهم فاننا لم نغفل عن أن التراث الذى تركن إليه الأمة يمكن - إذا تناولته حركة أحياء - أن يصبح أساساً لتخطيط مستقبلها .

و أما غفلتنا عن الواقع فانه من الحق أن نقول : إن الحركة الاسلامية الحديثة ، فى طورها المعاصر ما زالت تعكس بعض الخصائص التى لا تنسجم مع الواقع الذى تعمل فيه ، مما سنتحدث عنه فيما بعد .

وإن أحد الأسباب الرئيسية فى غفلتنا عن واقع العصر هو هجومهم المتواصل على اتجاهنا ، مع تهجم الأوربيين أنفسهم ، مما اضطرنا إلى أن يشغلنا الدفاع أكثر مما ينبغى ، بحيث أدى ذلك إلى نتائج خطيرة نكتفى بذكر ثلاثة منها هنا :

١ — إن الدفاع أدى إلى أن يتحكم خصمنا فى سير تفكيرنا ، و توجيه نشاطنا ، و ذلك حسب موضوع التهمة التى يوجهها إلينا ، و قد أدى ذلك بالطبع إلى انشغالنا بكثير من المشكلات الظاهرية ، نتج عنه تجميد فى مشكلاتنا الحقيقية ، و بقاؤها على حالها .

٢ — و نتج عن ذلك بالطبع أن تزايد التباعد بيننا وبين الواقع .

٣ — إن المؤلفات التى وضعت بقصد الدفاع قد أدت إلى نتيجتين خطيرتين :

ا — « تمييع » كثير من المفاهيم و القيم الاسلامية بحيث كاد يضيع « جوهر » الاسلام بحجة صلاحيته لكل زمان و مكان ، و تضيع « أصالته » بحجة « تغير الأحكام بتغير الأزمان » .

ب — إن طبيعة الدفاع اقتضت أن « يتخير » من التراث ، و خاصة القرآن و السنة ما يناسب الرأى المطلوب تأييده . بحيث غدا من حقنا أن نشك اليوم فى « المنهج » الذى اتبع لا حياء تراثنا ، ومن حقنا أيضاً أن ننظر إلى أكثر « أدب الدفاع » هذا على أنه « حائل » بيننا و بين فهم « المصادر الأصلية » لأنه يقودنا إليها من « وجهة نظر معينة » أملتها ظروف غير طبيعية فلا بد لنا من وضع « مقاييس صارمة » لـ « تقويم » انتاجنا فى هذه المرحلة تقويماً ينسجم مع وحدة و استمرارية الثقافة الاسلامية ، و فى رأيى أن انتاج الدفاع هذا — باستثناء علوم القرآن و علوم الحديث و علوم اللغة العربية — يجب أن « نعلقه » مؤقتاً فى عودتنا المباشرة إلى الأصول بحيث تتم إعادة إحياء تراثنا على أساس « منهج » علمى دقيق ، و أصول فى البحث ثابتة .

و معايير فى التقييم مستمدة من تراثنا نفسه .

هاتان النتيجتان قد أدتا بصورة غير مباشرة إلى أن يتجرأ أعداء الاسلام أنفسهم إلى « تفسير » الاسلام لخدمة « مذهب » معين ، مبررين ذلك بنفس المنطق و الأسلوب اللذين مهد لهما الدفاع ، يضاف إلى ذلك أن الذى يقف دائماً موقف نيتهم المدافع عن نفسه لا بد أن ينشأ عنده شعور بالنقص يؤدى إلى ضعف الثقة بالنفس ، وهذا بدوره يؤدى أيضاً إلى حالة من الارتباك تظهر إما فى رأى مبتسر ، أو تصرف ارتجالى ، أو عاطفة جامعة ، فلابد لنا إذا أردنا أن ننتبه إلى أنفسنا ، و أن نواجه قضايانا أن نتخلص من موقف الدفاع هذا ، وكذلك من الثنائية ، و أعنى بها المواقف التى تفرض علينا دونما اختيار منا ، و لا درس و لا تمحيص ، على صورة : إما — أو . أى : إما هذا الطريق أو ذلك !

على أنه ينبغى أن نفرق تفرقة حاسمة بين « الحوار » و « المساومة » فالحوار هو موقف الانفتاح الدائم على المعرفة ، و التطلع المخلص إلى آفاق جديدة ، فهو موقف تمليه الثقة بالنفس و بالحقيقة معاً ، و هما الصفتان المميزتان لكل مثقف أصيل ، وفى اعتقادى أن ماينقص المثقفين اليوم فى العالم العربى خاصة ، و الاسلامى عامة ، ليس هو المعرفة ، بل أخلاقها ، و ليس هو السعى وراء الحقيقة بل الالتزام بقيمها ، أما المساومة فهى خلاف ذلك ، هى خيانة المرء لنفسه وللحقيقة معا ، هى علامة التحجر و الضعف ، و إنه لأهون على المرء أن تخلع أضلاع صدره ضلعاً ضلعاً من أن يقبل المساومة على فكرة هى عنده موضع

يقين ، فمن يتنازل عن يقين فكرة دونما إلحام إنما يتنازل عن جوهر نفسه كانسان ، ذلك أن الفكرة التى يتملكنى يقينها لا تستحيل عندى إلى حقيقة إلا إذا استلحت أنا بها إلى قيمة .

إن على المسلم المثقف أن يعلم أن غاية الأجهزة الثقافية الغربية اليوم ، و من تتبناه هذه الأجهزة فى بلادنا ، هى الوصول به إلى وضع العبث Absunde الذى يعنى هنا استعصاء الظواهر على الفهم ، ليكون ذلك أساساً لشكه بأفكاره و قيمه و مستقبله ، و الواقع أن الوضع الثقافى و السياسى فى العالم الاسلامى عامة ، و العربى منه بوجه خاص قد بلغ حدود العبث و ليس يهمنا هنا أن نتساءل : عبث من هو ؟ بل المهم أن نتجاوزه إلى موقف عقلى هادىء يتميز بوعى الظواهر .

نحن نريد إذن أن نهدأ . و أن نمحص كل المفاهيم التى تدور من حولنا ، و أن نعمن بأنفسنا ، و بمطلق اختيارنا ، ما نريد . إننا نقرر مصيرنا فى كل خطوة نخطوها فلابد و أن نقرره بحريتنا ، فنحن نرفض سلفاً أية محاولة ارتجالية لتخليصنا من الأوضاع السيئة . ! أو أية محاولة انتحارية ! كذلك نرفض المنطق الانفعالى الأهوج ، منطق السلبية الذى يرفع فى كل مناسبة : كلمة : « لا » . فـ « لا » هذه ، و السلبية التى تعبر عنها كانت أحد العوامل التى فرغت نفوسنا نحن الشباب . لقد كان الدفاع يشعرنا بالنقص . والثنائية تشعرنا بالاكراه ، وهذه السلبية تضعنا أمام الفراغ !

إننا اليوم نثق بأنفسنا وبقدرتنا على الاختيار لأننا جديرون أيضاً بالحرية ، و نعرف إلى جانب ذلك أننا نواجه صعوبات كبرى تكاد

تنوء بها كواهلنـــا ، و لكننا نعرف أن الانسان يفترق عن سواه من الخلق بأنه قادر على اختيار حظه وسعادته بنفسه ، و قد يجدها فى الألم ، و قد اخترنا أن يكون حظنا من الحياة عمراً بلا راحة ، لأننا جديرون باسم ذلك الذى سجدت له الملائكة .

و إذا كنا نؤمن بتراثنا فاننا لانقدسه تقديساً أعمى ، بل نود أن نعرفه معرفـــة صحيحة . و أن نقومه التقويم الحق الذى يستحقه ، وإذا كنـا نحس بحاجتنا إلى حوار مع الغرب الحديث فاننا نعرف أيضاً أن الانصهار مستحيل ، لذلك فاننـا نقاوم تيار الانصهار توفيراً للجهـــد و الوقت ، مؤمنين فى قرارة أنفسنا بأن ما نحتاجه من الغرب سنأخذه ، شئنا أم أبينا ، و أن ما لا نحتاجه لا يمكن أن نتمثله ، و لو أقحم علينا أقحاماً !

لذلك فنحن لن نهتم بالحديث عن الأبواب ، ذلك الذى يشغل الكثيرين : كم نفتح ؟ و ماذا ندخل ؟ و ماذا نمنع ؟ بل سنتصرف إلى النوافذ لننفذ منها إلى هذا الذى تتجادل فى منعه أو ادخاله ؛ فنعرفـــه معرفة صحيحة و دقيقة ، و نحكم عليه بصرامة و نزاهة .

إن الذى لن يهدأ فينا هو « الأزمة » التى نكابدها ، لأنها أسى ، و ألم . و عذاب مضن لاينتهى ، لكنه أسى « الصحوة » و ألم « الميلاد الجديد » ، و عذاب حبيب لأنه علامة الحياة .

وماظفر جيل من المسلمين كجيلنا بهذه السعادة إلا جيل الغزالى . سعادة محاولة تجاوز الأزمة لاعادة النسغ إلى العروق المتمجدة . لاعادة الحركة إلى العيون الشاخصة المشدوهة . لاعادة الربيع إلى خريف حضارة طويل طويل .

● الفقه الاسلامى فقه حى مساير للزمن ـ معاذ الله ـ بل إنه سابق للزمن ، وإمام الزمن أبعاده غير أبعاد القوانين الأرضية الوضعية ، ومنبعه غير منبعها ، فهو يختلف عنها فى الغاية والوسيلة ، والصورة والحقيقة .

● إنه كنز لم يفتح إلا شطره الأول ولا يزال شطره الثانى يحمل من عجائب حكمة الله و أسراره البالغة ما يأخذ بالألباب .

الفقه الإسلامى

بعدى

● إنه يراعى نفسية البشر و خلجات النفس الانسانية و يدرك مساربها الخفية ومخابئها المستورة ، ويسعف الانسان فى كل صغير و كبير بنور واضح مبين « ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير »

تحديد النسل من وجهة نظر الاسلام

الأستاذ عتيق الرحمن السنبهلى
محرر مجلة « الفرقان » الشهرية
« مغرب »

تتاج المواد الغذائية لا يجارى نسبة تزايد السكان ، هذا ما يقول أنصار تحديد النسل لاثبات دعواهم ، إنهم يقولون : إن زيادة الانتاج الزراعى التى تتحقق عن طريق المشاريع الزراعية تنحط إلى درجة الصفر بالنسبة إلى سير الزيادة السريع فى السكان ، إذن لا بد من تحديد النسل لحل هذه المشكلة .

إننا نبحث فى هذه المشكلة من وجهة النظر الدينى لا من وجهة النظر الاقتصادى ، و لذلك نحتاج إلى استعراض أن الأرض تملك من صلاحية الانبات مايسد ضرورة الناس بالنسبة إلى تزايد العمران أم لا ؟ كما لايحتم علينا الموضوع أن نبحث فى المشروع الزراعى وفساد التصميم ، و ما يتحكم فى تنفيذ هذا المشروع من عقلية الخداع والنفعية والاحتكار مما يجعله عقيماً لا يثمر . غير أنه ليس هناك من يجعل لصلاحية إنبات الأرض حداً ، و إنما يمكن تقدير معدل صلاحية الانبات بناء على التجارب . لأن الانسان لم يتمكن إلى الآن من اكتشاف علم أو آلة تعين صلاحية الانبات ، و قد أثبتت التجارب أن الأراضى التى كانت نسبة حاصلاتها ضئيلة بالأمس زادت اليوم بفضل البذور القوية و السماد الكيماوى ، ولايدرى أحد إلى أين ينتهى هذا الحد على مرور الأيام إلا

الله . و لذلك فان القول بعدم صلاحية الأرض لتحمل ثقل العمران المتزايد لا يحمل معنى .

فاذا تمثل لنا أن غلات الأرض لا تكفى لحاجات الناس اليوم و تبين لنا أن الاتزان لم يفقد من جراء اللاحتكا و النفعية و إنما نسبة غلة الأرض أقل من نسبة اتساع العمران ، بالرغم من اتخاذ التدابير اللازمة فى زيادة الحاصلات ، و رفع مستوى العمل و الجهود فى هذا المجال ، فلاشك أن الطريق الذى يتخذ تجاهه من لايؤمن بالله هو ماأشار إليه القرآن : « من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا و الآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ »

إن أمة لا تعرف الله إذا لم تنجح حيلتها فى كسب الرزق لابد لها أن تبحث عن طريق الى تحديد النسل الذى يرادف الانتحار القومى فان أخفقت هذه الحيلة أيضاً رجعت إلى الجاهلية الأولى فى قتل الأولاد خشية إملاق ؛ و لكن المؤمنين بالعكس من ذلك يتخذون طريقاً دعا إليها سيدنا نوح عليه السلام قومه « استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، و يمددكم بأموال و بنين و يجعل لكم جنات و يجعل لكم أنهاراً ، ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً » .

هذا ما وجه إليه نوح عليه السلام قومه . و قد عاش فى عهد يرجع إلى ما قبل التاريخ . و ليس لدينا من شهادة تاريخية تشير إلى ذلك السبب الذى بعثه على هذا الخطاب . و لكن الجو الذى يحيط به يدل على أن قومه كان يعانى من الفقر و القحط شيئاً كثيراً ، و قد كان هناك عتاب طويل من الله شمل المزارع و الجنات والبيوت والأسواق ،

فلفت نوح أنظار قومه إلى ذلك العتاب و العقاب بقوله « استغفروا » و كأنه طلب منهم إرضا الله سبحانه و تعالى ليزول عنهم ما يقاسونه من آلام الجوع و الفقر ؛ و ذلك لأن هؤلاء الناس لم يكونوا يرجون من الله نصراً و تأييداً ، فلامهم نوح عليه السلام و قال : « ما لكم لا ترجون لله وقاراً و قد خلقكم أطواراً » .

إن الايمان بالله معناه أن يتأكد الانسان أن زمام الكون بيد الله سبحانه ؛ و لا تتحرك ذرة ولا تسقط ورقة إلا باذنه ، و أن الله هو الذى يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ، و هو الذى سخر للانسان كل ما فى السماوات والأرض ، وأن الغاية من ذلك هى سد حوائج الانسان فان كان هناك شئ لا يقوم بواجبه رغم محاولة الانسان ، فمعناه أن ذلك لم يقع إلا من عند الله لسبب يعرفه هو .

فاذا كنا نرى أن الرزق لا يتوسع و لا يزيد رغم جهود مخلصة نبذلها فى سبيل ذلك ، و أن أرضنا لا تغل ما يسد الحاجة ، على أنها تحمل من صلاحية تفيض عن الحاجة . فهل نستطيع أن نرد إرادة الله بتحديد النسل أو بحيلة نتخذها لنقص العمران الموجود ، أليس الله بقادر على أن ينقص رزقنا بنسبة جهودنا ، أو يزيد نسبة القلة فى أرزاقنا .

وكلما فكرنا فى هذا الموضوع أو تعمقنا فيه ظهر لنا أن فكرة تحديد النسل كحل للازمة الاقتصادية و علاج لقلة المواد الغذائية مع الادعاء بالايمان و الاسلام هزء بالدين و سخرية من الأقدار ، يجب أن نكون واقعيين و نفكر فيما إذا كانت الجهود التى تبذل فى مجال زيادة

الحاصلات وتوسيع نطاق غلات الأرض غير مجدية نسعى إلى اصلاحها و توجيهها إلى جهتها الصحيحة ، و إذا كانت متجهة نحو الجهة الصحيحة ثم لا نجدى و لا تثمر فلابد من أن نؤمن بأن قلة الرزق لا علاقة لها باتساع العمران ، وإنما هى نتيجة لكثرة المعاصى و العدوان ، إنه إنذار يوجهه الله سبحانه إلى عباده ليكفوا عن المعاصى ، و يرجعوا إلى مصدر الرزق الأصيل ، هذا هو التأويل الصحيح - من وجهة نظر الكتاب والسنة - للازمة الغذائية التى تواجهها الدول المسلمة ، أما الدول الكافرة فان لها القانون العام للعقاب الالهى وهو الاملاء والامهال فلا يأخذها الله سبحانه بتضييق الرزق ، إلا لبعض أنواع خاصة من الجرائم التى ترتكبها ، و ذلك لا يكون إنذاراً و إنما هو عقاب لتكف عما وقعت فيه من الجرائم و المنكرات .

وعلى كل فان الحالة التى نجر إلى هذه النتيجة تحتاج إلى إصلاح ، سواء كنا فى دولة مسلمة أو غيرها ، لأن تحتال فى انتهاك نواميس العقاب و الانذار عند الله تعالى ، وفى القرآن إشارة واضحة إلى أن الله سبحانه لم يضع نظام الرزق فى هذا الكون مبنياً على القانون الطبعى وحده ، و إنما هناك قانون خلق يعتبر جزءاً لهذا النظام .

و لا شك أن القانون الطبعى يقتضى أن تثمر جهود الانسان فى أرض يزرعها ويتعهدها بالسقى و الرى ، ولكن هناك قانوناً خلقياً يؤثر فى القانون الطبعى بتعطيل عمله أو إضعافه لمدة يريدها الله مع قوم أو أمة . إن القانون الطبعى لأنبات الأرض هو نظام لرزق الانسان من عند الله ، و لكن الله ليس ربا و لا رزاقاً وحده ، بل و هو الرقيب

لهـذه الحدود الخلقية كذلك ، التى يتوقف على إبقائها بقاء هذا العالم وتحقيق الغاية التى خلق من أجلها ، إنه لا يفرق كنوز الرزق بين الناس بدون وازع بل يكيل لهم الرزق - بصفة عامة - بقدر يعيش به النوع البشرى فى حدوده ، ويقدر الرزق - بصفة خاصة - لمن يجرون الانسانية إلى ألوان خاصة من الشر والفساد . و يذيقهم آلام الجوع والخوف .

و ما هى تلك الحدود التى إذا وصل إليها الشر و الفساد يسبب سخط الله و يجلب غضبه ؟ إننا لا نعلم ذلك بالتفصيل غير أن الله سبحانه أتاح لنا فرصة الاطلاع الأساسى على هذا القانون عن طريق أخبار الأمم البائدة ، وعلى كل حال فان سنة الله العامة والخاصة فى الرزق تتبع القانون الخلقى الذى يعتبر فوق القوانين الطبيعية للاحتفاظ بمصالح إنسانية خاصة ، و فى القرآن شواهد كثيرة تؤيد هذه الفكرة ، نذكر بعضاً منها .

من الحقائق التى لا مرية فيها أن الجهود المتماثلة فى كسب الرزق لا تثمر ثماراً متماثلة ، و إنما تختلف رغم تماثل الجهود و تضاهيها ، على أن الجهود المتعددة فى اكتساب الرزق بالوسائل الطبيعية تحتم أن تكون لها نتائج واحدة . كما أن ضرب الاثنين بالاثنين ينتج أربعة . ولكن القرآن يشير إلى أن سبب اختلاف هذه النتائج هو قانون المصلحة الخلقية الذى يتحكم فى القانون الطبعى ، و نقرأ قول الله تعالى « و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض و لكن ينزل بقدر ما يشاء »

إذا تأملنا فى بسط الرزق الذى ينفيه الله سبحانه و تعالى لأفاد ذلك أن النتائج المتماثلة التى تجب أن تثمرها الوسائل الطبيعية المتماثلة

لا يتيحها الله للناس ، لأن ذلك يسبب بغيهم و فسادهم على السواء ، و تفقد قضية الرزق أهميتها و قيمتها التى تستجلب اهتمام الناس بالاقبال على الله و ذكره ، و إن معنى ذلك أن يتغافل الناس عن ذكر الله و يتجاوزوا الحدود ، ويتمادوا فى الغى والفساد ، و يتحول الانسان إلى بهيمة .

إن هذه الآية تشير إلى سنة الله العامة فى أمر الرزق ، و هى توزيع الرزق بقدر مايشاء . و قد ضرب الله سبحانه أمثلة لبعض الأمم المفسدة المتمردة بمعاملته الخاصة بها ، فقد أشار القرآن إلى مصير قرية مطمئنة كفرت بأنعم الله ، و قال : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون » و قال فى مكان آخر عن قوم فرعون « و لقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون »

و لا يصح فى هذه المناسبة إثارة شبهة حول الجدب و السنين و القول بأن ذلك نتيجة طبعية للقانون الطبعى ، وذلك لأن كل الوسائل الطبعية التى يبدو باجتماعها عمل القانون الطبعى إذا لم تجتمع أو أن يحول دون ظهور تأثيرها سبب طبعى ، فالنتيجة التى تبدو به لا تعدو نتيجة القانون الطبعى ، و ذلك ما يحدث فى حال المجاعة و الجدب .

إنه لا يصح أن تثار هذه الشبهة فى سياق هذا البحث . لأن القرآن إنما يريد إزاحة الستار عن وجه هذه الحقيقة ، و هى أسباب المجاعة والجدب التى لاتحدث بنفسها بل الله سبحانه يسلط هذه الأسباب

على قوم ، نظراً إلى مصالح خلقية و الحدب عليها

و كما يبتلى الله سبحانه أمة أو بلداً فى مجاعة بخلق أسباب طبعية لها . كذلك جرت سنة الله ونجرى أنه ليس هناك مايمنع إنبات الأرض بل وينبغى أن تكفل رزق الخلق كله إذا بذلت جهود مخلصة فى زرعها وإنباتها ، ولكنها تأبى أن تتكفل ، و هنالك نرى أن الكافر يفكر فى اتخاذ التدابير لتقليل العمران و تحديد النسل ، أما المؤمن فلا يمكن أن يفكر مثل هذا التفكير ، و إنما يركز تفكيره فى إرضاء الله و اجتناب ما يسخطه ؛ فان الله الذى يخلق الانسان من ماء مهين ، و يخرج من حبة واحدة مآت الحبات ، يقدر على أن يخلق من حبة واحدة آلاف الحبات عوضاً عن المآت . وذلك هو السر فى قوله تعالى : « و ما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » .

ويقول بعض العلماء أن تحديد النسل نوع من أنواع قتل الأولاد ، وينطبق عليه نهى القرآن « و لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » و سواء وافقنا هذا الرأى أم لم نوافق و لكن هذه الآية لا تفيد النهى لقتل الأولاد فحسب بل تشير إلى الامتناع عن أى منكر خشية إملاق ، ومما لا ينكره أحد بحكم الشعور الاسلامى العام أن التدابير الصناعية لتحديد النسل لا تخلو من كراهية و تأباها الطبيعة الاسلامية ، فلما كان تحديد النسل عملا مكروهاً لا صلة له بالاسلام فان ارتكابه كحل للازمة الاقتصادية يدخل فى سياق النهى المذكور فى الآية . و لا يعود اتخاذ التدابير لتحديد النسل عملا منكراً وحسب ، بل يعتبر ذلك مخالفة لأمر صرح به الاسلام .

و تنتهى الآية بقوله تعالى « نحن نرزقهم و إياكم ، إن قتلهم كان خطأ كبيراً » ولاحاجة إلى أى دليل على شناعة قتل الأولاد ، كما لاقيمة إزاء ذلك للبحث عن عوامل القتل ، و لكن القرآن بالرغم من ذلك لا يكتفى بتشنيع أمر القتل خشية إملاق بل إنه يولى عناية كبيرة للعقلية التى تخشى الاملاق و الفقر ، و كأنه يقول : إن قتل الأولاد مهما كان خطأ كبيراً ولكن العقلية التى لا تعتمد فى تفكيرها فى أمر الاقتصاد و المعاش على الله ، أشد احتياجاً إلى الاصلاح ، فان فكرة الرزق و المعاش لا تستغنى بأى حال عن الله الذى يخلق الرزق و يقسمه بين الناس « نحن قسمنا بينهم معيشتهم » .

إن هدفنا من هذا المقال هو التعرض لهذه العقلية التى تفكر فى المعاش و الاقتصاد بصرف النظر عن ذات الله سبحانه و تعالى ، وتعتبر تحديد النسل أمراً مباحاً و ضرورياً فى بعض الأحيان ، على أن هذه الفكرة لا تتفق و العقيدة الاسلامية ، و لذلك إذا تأملنا فى مشروع تحديد النسل و منهجه الخاص و العامل الأساسى الذى يبعث على تنفيذه و هو خشية إملاق ، لا يعود ذلك ذنباً كبيراً فحسب و إنما يتمثل فيه عقلية ملحدة لاتعتقد بخالق يتكفل للناس أرزاقهم ، وإنما تربط القضية بالجهود الانسانية وحدها ، وتعتقد أنها هى التى تستطيع أن تفتح أمام الناس أبواباً للخير والرزق ، فلما أعيت عن العمل أنسدت عليهم الأبواب .

إن الزيغ فى العمل والخطأ فى التفكير الذى يتصادم مع التزامات عقيدة و مقتضياتها يعتبر منكراً يجب تغييره و إصلاحه . أما إذا كان هناك ما يتصادم مع عقيدة ثابتة معروفة ، و يؤدى ذلك إلى نوع من

الانكار بلسان الحال ، و الشقة بينه و بين الانكار بالقول غير بعيدة ، وإذا لم ينته الأمر إلى هذا الحد الأخير فلاشك أن فكرة ملحده تتأصل فى النفس ، و لا يجاوز الدين لسان المرء إلى القلب .

فاذا فكر المسلمون فى تحديد النسل خوفاً من قلة الرزق ، وخشية الاملاق ، فان ذلك نذير خطر عظيم لدينهم و إيمانهم يتضاءل أمامه كل خطر اقتصادى و أزمة معاشية ، و المعلوم أن أساس الدين كله على الاعتقاد بأن الله هو رب العالمين ، و بذلك تفتتح أول سورة من القرآن ، إن تصور ربوبية الله أساس تقوم عليه فكرة البحث عن مرضاة الله فى الأعمال ، و هى تتمثل فى الهداية الدينية التى تعتنقها الفطرة البشرية ، و تؤدى حق توجيه الحمد إلى رب العالمين ، والحقيقة أن الجزء الأساسى الأول ، لمفهوم « رب العالمين » هو الرزاقية التى تتضمن جميع ما فى الكلمة من معنى ، و تتعمق إلى الأعماق والأغوار ، و التى يعبر عنها القرآن فيقول : « و ما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » .

إن القرآن و رسول الاسلام عليه الصلاة و السلام لم يسمحا بعد هذا الاعلان الصارخ بالانطواء على النفس و الانزواء إلى ركن من الأركان حيث ينزل الرزق من السماء ، وإنما دعوا إلى العمل والكفاح ثم الاعتماد على الله ، واعتبرا أساس عبادة الله الاعتقاد بربوبيته ، وأنه هو وحده الرزاق ذو القوة المتين . و ذلك لأن الذى لا يعتقد رزاقية الله و ربوبيته لا يندفع نحو عبادته و لا يقبل عليه .

يتبع

مبحث تحليلى حول الربا التجارى وموقف الاسلام منه

الأستاذ فضل الرحمن
محاضر القسم الدينى بجامعة عليكره الاسلامية (الهند)
« معرب »

و يبدو أن مكة تكون قد احتلت محل بلد مصرفى و وجدت فيها خصائص دار اقتصادية تدريجياً . كما يكون قد انتشر فيها التبادل التجارى و تأسست مؤسسات حول التنظيم الاقتصادى ، وكل ذلك مما يدل على أن التعامل الربوى نال رواجاً عاماً لدى أهل مكة بحكم الطبيعة ، وحينما أعان القرآن بحرمة الربا و شنع على الناس أمره أنكرته قريش بدليل أنه لافرق بين البيع والربا ، الذى هو نوع من التجارة ، والذى يوخذ كعوض عن رأس المال أو كأجرة له .

وكان أهل قريش يقولون : لا فرق بين أن تؤخذ الزيادة على رأس المال فى أول البيع كما هو الشأن فى التجارة ، و بين أن تؤخذ بعد مضى مدة عندما يبلغ الدين أجله كعوض للتأخير ، و الحقيقة أن التعامل على شروط الربا و تحديد الأجل لأداء الدين . وكل نوع من المعاملات الربوية إنما كان عاملا أساسياً للتنظيم التجارى الذى عرفته مكة فى ذلك الوقت ، كما كان الربا نوعاً من التجارة عندهم . و وسيلة للتبادل كالبيع و الشراء فى الجاهلية ، و قد تقدمت قريش بهذا التعامل الربوى إلى مستوى أرفع ؛ فكانوا لا يقرضون أهل قبائلهم فحسب بل و كانوا يتجاوزونهم فى ذلك إلى سكان مدن أخرى .

وقد شارك خالد بن الوليد العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما فى تأسيس تنظيم تجارى برأس مال مشترك ، كان الغرض منه توزيع القروض الربوية ، و لم يكن ذلك العمل محدوداً إلى مكة بل تعدى إلى الطائف حيث كان الناس يستقرضون منهما ، وخاصة بنو عمرو بن عمير الذين كانوا من قبيلة بنى عوف ، كما كان عثمان بن عفان رضى الله عنه من أولئك التجار الكبار الذين كانوا يتعاطون التعامل الربوى على نطاق أوسع ، أما عير قريش التجارية التى سببت غزوة بدر ، فقد أسهم فى تنظيمها أولئك الأغنياء الكبار الذين كانوا قد وظفوا أموالهم فى تجارات ربوية مختلفة .

إن التفاصيل التى عثرنا عليها فى هذا الموضوع تسهل علينا مهمة تعيين الأشكال الربوية و أنواعها التى كانت منتشرة فى الجاهلية بكل ايضاح ، و مما لاشك فيه أن العرب فى الجاهلية كانوا يتعاملون بالربا فى مناسبتين اثنتين ، فى القروض ، وفى البيع و الشراء ١- أما فى القروض فكانوا يقرضون المال إلى أجل محدود عوضاً عن زيادة اشترطوها . و كانت هذه الزيادة بصور الوصف حينا و بالمقدار حيناً آخر ، و كان مقدار هذه الزيادة يتعين بتراضى الفريقين بالنظر إلى مالية القرض وأجل الأداء ، و كانت هذه الزيادة المشترطة تودى حسب تعاقد الفريقين بتقسيط شهرى أو دفعة واحدة حين انتهاء المدة ، فاذا كان المستقرض لم يتمكن من أداء القرض فى الميعاد يضاعف رأس المال مع الربا المطلوب فيه ، و يمهل المستقرض إلى أجل آخر جديد . أما فى شكل التقسيط الشهرى إذا كان المدين لم يؤد فى الميعاد فكانوا يزيدون فى مقدار مبلغ

التقسيط و يؤخرون مدة الأداء .

(٢) و فى المناسبة الأخرى أى عند البيع و الشراء فكانوا يبيعون بالنسيئة ، و يعينون مقدار الربا على أصل القيمة مع تعيين الميعاد ، فان لم يتمكن المشترى من أداء القيمة و الربا فى الميعاد يمهل له بزيادة الربا إلى أجل آخر .

و لدينا من الدلائل القوية على أن التعامل الذى كان متداولا فى ذلك العهد فى المناسبتين كلتيهما لم يكن ذلك فى واقع الأمر من نوع الربا الذى نسميه Usury بل كان يتصل بالربا التجارى Interes أيضاً ؛ و لنبدأ قبل كل شئ فى القروض ، فقد اتضح لنا جيداً أن الربا كان يحتل فى الجاهلية محل عامل مهم للحياة الاقتصادية لدى أهل الحجاز و خاصة فى مكة و الطائف ، وكان ذلك أساساً يقوم عليه بناء صرحهم الاقتصادى ، ويضطر الدارس للأحوال الاجتماعية والتجارية والاتجاهات العقلية السائدة فى ذلك العهد إلى أن يتأكد أن القروض التجارية لا تكون عامة فى الناس فحسب بل و تكون ضرورة لحياة الأمة الاقتصادية .

و فى مثل هذا التنافس التجارى الشديد ؛ و السباق الأهوج فى تضخيم رأس المال ، وتوظيفه فى التجارة لزيادة الاسترباح الذى نشاهده فى مكة ذلك العهد ، يكون تجار هذا البلد قد وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الاستقراض ممن فوقهم من التجار الكبار للاسهام فى القوافل التجارية ، كما لايخفى على الدارس الخبير أن هذه المبالغ الطائلة لاتحصل بدون الربا ، و العلاقات التجارية والاقتصادية بين قريش وأهل الطائف

لا تخلو من معانى تشير إشارة واضحة إلى أن هناك تبادلا فى القروض التجارية .

و قد ذكرنا آنفاً أن الطائف و مكة احتلتا محل مركزين تجاريين فى التجارة الحجازية ، فقد اصطنع هذان المركزان التعامل الربوى كتجارة خاصة ، واتصل كل واحد منهما بالآخر بصلة قريبة عن طريق التبادل الربوى ، و لا ينبغى أن يفوت الدارس لهذا الموضوع ما كان بين بنى المغيرة وبنى ثقيف من علاقات تجارية قريبة ، والمكانة الاجتماعية التى كان يحتلها بنو المغيرة فى بطون قريش ، فكل ذلك مما يسترعى الانتباه .

كانت قبيلة قريش تتوزع فى فرعين :

● قريش البطاح ● قريش الظواهر

أما قريش البطاح فهم الذين احتلوا ، بقيادة قصى وادى مكة بين جبل أبى قبيس والجبل الأحمر ، وكانوا يعتبرون أفضل وأرفع مكانة اجتماعية من قريش الظواهر ، الذين كانوا ينزلون خارج الوادى ، وكان بنو المغيرة من بنى مخزوم التى كانت بطناً من قريش البطاح . و قد أنجب بنو المغيرة شخصيات كبيرة فى الجاهلية والاسلام « فان أم المؤمنين أم سلمة ، و وليد بن المغيرة ، و قاضى قريش الذى كان يعرف « بالعدل » و هشام المغيرة والد أبى جهل الذى كانت قريش تعظمه و تجله إلى حد اتخذت سنة وفاته تاريخاً لها . و ابنه الحارث الذى كان يعد من أجواد الجاهلية و ابنه الثانى أبا جهل ، و خالد بن الوليد القائد الشهير ، و أبا بكر بن عبد الرحمن أحد الفقهاء السبعة فى المدينة

المنورة ، كلهم من بنى المغيرة .

وقد أسلفنا أن هذه القبيلة من قريش كانت تستدين من بنى عمرو بن عوف الثقفى بصورة دائمة للأغراض التجارية . كما أن أغنياء بنى المغيرة الذين كانوا قد أسسوا شركات تعاونية للتعامل الربوى وغيرهم من قبائل قريش كانوا يدينون بنى عوف بضورة مستمرة ، وكان بنو عوف يدينون قريشاً ، و كانت تجارتهم تقوم على التعامل الربوى .

إن علاقة تبادل القروض بين هاتين القبيلتين اللتين كانت أسسها الاقتصادية تقوم على الربا والتجارة ، وكانتا تتصلان بالمركزين التجاريين الكبيرين اللذين كان واحد منهما يحتل محل مركز مصرفى تجعلنا أن نعتقد أجزم اعتقاد أن نوعية قروض أهل هذين البلدين تجارية إلى حد كبير ، أما الالحاح على أنها قروض شخصية كانت تؤخذ للصالح الشخصية الاستهلاكية فقط بعد دراسة اتجاهاتهم الاقتصادية و أحوالهم الاجتماعية فشئ غريب يكاد ويستحيل .

و مما يأباه العقل و يحيله أيضاً ، أن أمة اعتمدت فى معاشها على مجرد التجارةو العمل ، و لم يكن عندها مايمنعها عن التعامل الربوى ، و لم تلجأ إلى التزامات تعوق سيرها التجارى ، تكون قد تجنبت القروض الربوية فى جمع رأس المال التجارى ، و قد كان ذلك عادة شائعة فى الناس ، و كان باعثاً كبيراً على توسيع نطاق الربا للأغنياء الذين كانوا يقرضون الناس و يربحون منهم قسطاً وافراً من الربا .

● نعم هى العقيدة الصافية و الحماسة الدينية الخالصة لله ، هى وحدها فقط السبب فى تكوين أعظم امبراطورية شهدها العالم ، ذلك أن العرب الذين خرجوا ليفتحوا القلوب قبل البلدان هم نفس العرب الذين كانوا فى الجزيرة قبل مجئ الاسلام ولم يستورد الاسلام أحداً من خارجها ، فعمر و خالد و عبد الرحمن و سعد وغيرهم من صناديد قريش

دراسات وأبحاث

كانوا خاضعين لحكم فارس يسوقهم جندى و يأخذ منهم الضرائب فلماذا لم يخرجوا قبل الاسلام ؟

لماذا لم يقيموا امبراطورية عربية قبل الاسلام ؟

لماذا كانوا يتقاتلون فيما بينهم ويعجزون عن قتال جندى فارسى واحد ؟

أليس ذلك كله لأنهم لم تكن لهم العقيدة التى تدفعهم لذلك ؟

أنظر ص ٧٦

شبهات « آرنولد » بين الجهل والحقد

الأستاذ مرحان فاضل السامرائى
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة فى مكة المكرمة

من المؤسف المؤلم أن نجد تاريخنا الاسلامى الزاهر تكتبه يد غير أمينة و لانزيهة ، ولا تؤمن بالله واليوم الآخر ، خاصة الفترة من القرن السادس عشر حتى اليوم .

فقد تصدى المستشرقون الحاقدون على الاسلام ونبيه لهذه الفترة و راحوا يكتبون بكل حقد و جهل و عداء سافر ، و قد يظن بعض الناس أن بين المستشرقين من ينصف المسلمين أو لايظلمهم ، ومن بين هؤلاء « آرنولد » الذى مدحه المادحون و جعلوا كتابه « الدعوة إلى الاسلام » مرجعاً لانتشار الاسلام فى آسيا وأفريقيا من خير المراجع . .

ولقد كلفت أن أدرس مادة « انتشار الاسلام » فى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة ، وكان الكتاب المذكور أهم مرجع فى هذا الموضوع . . .

و ما أن تصفحت الكتاب حتى وقعت على طعن و نسف للرسالة المحمدية بأسلوب خبيث يعتمد على إبدال الحقائق التاريخية أو تشويهها إلى جانب كلمة حق تخفف من هذا العمل السيئ . . .

و قمت بنقل بعض النصوص و رددت عليها بما يسر الله لى ،

و ها أنا ذا عارض لبعضها راجياً أن أواصل البحث فى ذلك و الله الموفق . . .

يقول : « آرنولد » فى صفحة ٤٦ - ٤٧ من كتابه مايلى :

« هل كانت الحماسة الدينية الخالصة - تلك القوة الجديدة لعقيدة كانت إذ ذاك و لأول مرة آخذة بالازدهار صافية تمام الصفاء - هى التى أمدت جيوش العرب بالنصر فى كل موقعة من المواقع ، وأقامت فى مثل هذا الزمن القصير أعظم امبراطورية شهدها العالم ؟ !

لكن الدليل يعوزنا لنثبت أن الحالة كانت كذلك ، إذ كان عدد هؤلاء الذين بايعوا النبى و قبلوا تعاليمه عن حرية و اقتناع صادق ضئيلا جداً ، على حين نجد من ناحية أخرى أن الأكثرية كانت تتألف من هؤلاء الذين لم ينضووا تحت لواء المسلمين إلا عن طريق الضغط عليهم أو طمعاً فى نفع دنيوى ، و قد عبر خالد و هو سيف من سيوف الله فى أسلوب جد مؤثر عن هذا المزيج من القوة و الاقناع ، الذى أسلم عن طريقه هو و كثير من قريش حين قال : « إن الله أخذ بهم من قلوبهم و نواصيهم و أرادهم على أن يتبعوا النبى » . . . و يمضى آرنولد فى تضليله فيقول :

« وكذلك كان لشعورهم بالاعتزاز بقومية مشتركة أثر كبير ، وكان ذلك الشعور أشد حيوية بين العرب فى ذلك الوقت منه بين أى شعب آخر ، و قد حمل هذا الشعور وحده آلافاً مؤلفة على أن يؤثروا مواطنهم و دينه على غيره من الغرباء الداعين إلى أديان أخرى » . .

و لعل أخطر ما قاله :

« وكان أقوى من ذلك جذباً لهم إلى الاسلام أملهم الوطيد فى الحصول على غنائم كثيرة فى جهادهم فى سبيل الدين الجديد ، ثم أملهم فى أن يستبدلوا بصحاريهم الصخرية الجرداء التى لم تتح لهم إلا حياة تقوم على البؤس بتلك الأقطار ذات الترف والنعيم وهى فارس والشام .

و يمكننا حصر الشبه التى أوردها بالنقاط التالية ثم نرد عليها بعون الله .

١ — هل الحماسة الدينية هى سبب الانتصار و إقامة أعظم امبراطورية شهدها العالم ؟

٢ — الذين بايعوا النبى ﷺ قليلون جداً .

٣ — الذين قبلوا التعاليم باقتناع قليلون جداً .

٤ — أكثر الذين أسلموا عن طريق الضغط والاكراه أو الطمع الدنيوى .

٥ — إن إسلام خالد بن الوليد كان بطريق الاكراه والضغط .

٦ — الشعور القومى كان الاثر الكبير فى الانتصار .

٧ — خروج المسلمين من الجزيرة لم يكن يدافع العقيدة و إنما الطمع والجوع والحرمان دفع المسلمين إلى أخذ خيرات جيرانهم الأغنياء .

الشبهه الأولى : هل كانت الحماسة الدينية هى سبب الانتصار ؟

و لن أجيب من عندى و إنما سأنقل كلام آرنولد نفسه ليظهر التناقض فى رأيه ، والتناقض وحده كاف لأسقاط حجة الخصم .

يقول آرنولد فى صفحة ٢٠ من كتابه : « و الذى دفع المسلمين إلى أن يحملوا رسالة الاسلام فى شعوب البلاد التى دخلوها : الحماس

الشديد لدينهم . . و صدق عقيدتهم . . و الحمية الاسلامية التى أهدتهم بقوة لا تقهر . . » ! !

و فى صفحة ٢١ يقول : « يرجع إنتشار الاسلام فى تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلى أسباب شتى اجتماعية وسياسية و دينية .

على أن هنالك عاملا من أقوى العوامل الفعالة التى أدت إلى هذه النتيجة العظيمة ، تلك هى الأعمال المطردة التى قام بها دعاة من المسلمين ، فوقفوا حياتهم على الدعوة إلى الاسلام ، متخذين من هدى الرسول مثلا أعلى و قدوة صالحة ، هذان النصان الصريحان الواضحان لا يدعان مجالا للشك أو التردد بأن كلامه متناقض متهافت لا يقبله عاقل يفهم ابسط قواعد الأمور . .

و نحن نجيبه عن سؤاله : نعم . . نعم هى العقيدة الصافيةو الحماسة الدينية الخالصة لله ، هى وحدها فقط السبب فى تكوين أعظم امبراطورية شهدها العالم . ذلك أن العرب الذين خرجوا ليفتحوا القلوب قبل البلدان هم نفس العرب الذين كانوا فى الجزيرة قبل مجئ الاسلام ، ولم يستورد الاسلام أحداً من خارجها ، فعمر و خالد و عبد الرحمن و سعد وغيرهم من صناديد قريش كانوا خاضعين لحكم فارس يسوقهم جندى و يأخذ منهم الضرائب فلماذا لم يخرجوا قبل الاسلام ؟ لماذا لم يقيموا امبراطورية عربية قبل الاسلام ؟

لماذا كانوا يتقاتلون فيما بينهم و يعجزون عن قتال جندى فارسى واحد ؟ .

أليس ذلك كله لأنهم لم تكن لهم العقيدة التى تدفعهم لذلك ؟

و عندما جاء الاسلام وحملته القلوب المؤمنة تحركت بفعل العقيدة القوية ، و جاهدت من أجل نشر هذه العقيدة ، و ضحى البعض منهم بكل أمواله كما فعل أبوبكر و عثمان رضى الله عنهما ، فلماذا لم يحصل ذلك قبل الاسلام و حصل بعده ؟

إنه الاسلام ليس غير ؛ إنه عقيدة السماء ، إنه روح الاستشهاد فى سبيل الله ، إنه حب الجنة و كراهية الدنيا الفانية ، إنه الاخلاص لله وحده ، ذلك فقط هو سر النصر و إنشاء الامبراطورية ، لا الجاه و السلطان و المال حسبما يزعم المفترون و يكذب الكاذبون . .

الشبهة الثانية : الذين بايعوا النبى ﷺ قليلون جداً . .

هذا الكلام إما جهل منه بالتاريخ ، والجاهل لاحق له فى الخوض فى مايجهل ، وإما افتراء منه لايليق برجل يحترم عقله ويريد أن يصدقه الناس ، فقد بثت فى أصح الروايات التاريخية أن الرسول ﷺ توفى و أصحابه الذين أسلموا معه يزيدون على المأة ألف . .

فهل مأة ألف صحابى عدد قليل ؟! و كل واحد منهم بعشرات من غيرهم ؟

و ماذا يريد أكثر من ذلك فى ذلك العصر ؟

لا أشك أنه الحقد الأسود على الاسلام و نبيه هو الذى دفعه إلى هذا القول .

الشبهة الثالثة : الذين قبلوا التعاليم باقتناع قليلون جداً .

لم يثبت تاريخياً أن أحداً أسلم بالقوة و الاكراه ، بل كان العكس هو الحاصل ، فقد كان الناس يمنعون من الاسلام بالقوة ، وكان من

يسلم منهم يلقى الأذى و الاضطهاد ، و هـذا ما لا يجهله حتى طلاب الابتدائية عند دراستهم للسيرة النبوية . . . فمن هو الذى أكره على الاسلام ؟

الشبهة الرابعة : أكثر الذين أسلموا عن طريق الضغط والاكراه و الطمع الدنيوى ، أما الضغط و الاكراه فقد ذكرنا ذلك و أن العكس هو الصحيح .

و لكن الطمع الدنيوى هو الغريب ، فان الأذى و العذاب والمقاطعة هى كل مايلقاه المسلم حين يسلم فهل هذا هو الطمع الدنيوى . .

لقد كان بعضهم يفقد ماله و تجارته بل و حتى داره و أهله عند ما يسلم فما هو الطمع الدنيوى فى ذلك ؟ ! !

الشبهة الخامسة : إن إسلام خالد بن الوليد كان بطريق الاكراه و الضغط . . .

وهذا الكلام من باب « إكذب ثم إكذب حتى يصدقك الناس »

إن أحداً من المؤرخين السابقين و اللاحقين لم يقل أن خالداً أسلم بالضغط إنما أسلم مختاراً منقاداً طائعاً لله ورسوله بعد أن هزته دعوة الاسلام و تغلغلت فى قلبه معانى القرآن فجاء مؤمناً مبايعاً موحداً . فمن أكرهه ؟

و هل كان المسلمون فى فترة إسلامه من القوة بحيث يكرهونه ؟ أم كانوا فى حالة دفاع عن أرواحهم و عقيدتهم ؟

و قد نسب إلى خالد قوله : إن الله أخذ بهم من قلوبهم و نواصيهم . . . الخ

و لكن لم يذكر المرجع لهذا الكلام و ما أحسبه إلا تخيلا من آرنولد ليؤيد حجته الواهية و بامكان أى واحد أن يرجع إلى ترجمة خالد بن الوليد فى كتب الصحابة ليرى كيف أسلم خالد بدون ضغط أو اكراه لا كما يزعم آرنولد . . .

الشبهة السادسة : إن الشعور القومى كان له الأثر الكبير فى الانتصار . . .

و هذا من عجيب الكلام و غريبه !! إذ أن من القواعد المسلم بها و المعروفة لدى جميع الباحثين أن (القومية) اصطلاح حديث لم يكن معروفاً ولامستعملا عند العرب إلا فى أوائل القرن العشرين حين غزتهم الافكار الغربية .

و قد اعترف بهذا أساطين القومية و جلاوزتها و المتاجرون بها - قبحهم الله - . . .

والحقيقة التى لاخلاف فيها أن العرب كانوا على خلاف ما ادعى آرنولد . . .

فقد كانوا فى خلاف دائم وحروب طاحنة لأسباب تافهة أحيانا ، لا تجمعهم رابطة و لا توحدهم غاية . و ليس لهم شعار يلتفون حوله بخلاف جيرانهم الذين هم أهل القومية والديانة الخاصة ، والروم كذلك . .

فلما جاء الاسلام قضى على الخلافات ، و جمعهم برابطة الأخوة فى الله أقوى رابطة على وجه الأرض ، ووحد غايتهم وجعلها رضوان الله فى كل عمل . و التفوا تحت شعار « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أعظم شعار . . .

و لعل أرنولد يقصد بكلامه هذا « إن القومية شعار قديم وحد العرب فى الماضى و يمكن أن يوحدهم فى الحاضر » و هذا مايردده دعاة القومية الوثنية . وهو زعم باطل قامت الأدلة على بطلانه و الواقع هو خير دليل و أصدق حجة ، فما ضاع العرب إلا عندما جعلوا القومية شعاراً لهم و نبذوا رسالة الاسلام .

و ما ضاعت فلسطين إلا عندما تحولت من إسلامية إلى عربية ،

و ما هان العرب على الناس إلا عندما اعتصموا بـ « الجامعة العربية » وهجروا الاسلام ، فأين عرب الأمس من القومية وأين القومية من عرب اليوم ؟ هذا هذيان لا يقبله عاقل . . .

الشبهة السابعة : إن خروج المسلمين من الجزيرة لم يكن بدافع العقيدة ، وإنما الطمع والجوع و الحرمان دفع المسلمين إلى نهب خيرات جيرانهم الأغنياء . . ! !

أولا : إن هذا الكلام يناقض قوله تماماً : « على أن هنالك عاملا من أقوى العوامل الفعالة التى أدت إلى هذه النتيجة العظيمة تلك هى الأعمال المطردة التى قام بها دعاة من المسلمين وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الاسلام . . الخ . .

و ظاهر كلامه يعنى أن الصحابة رضوان الله عليهم جماعة من اللصوص وقطاع الطرق خرجوا لينغصوا العيش على الآخرين وليسلبوهم خيراتهم . . .

و كلامه هذا ليس جديداً فقد قاله جده من قبل ألف و ثلاثمأة وخمسين سنة يوم ذهب الصحابة يعرضون الاسلام على النصارى فقالوا لهم :

نحن نعلم أن الذى خرج بكم إلينا هو الجوع و العطش والفقر . . كما هو معلوم فى التاريخ ، فآرنولد يقتفى أثر أسياده وأجداده المارقين فى طعن الاسلام ليصور الصحابة فى صورة مشوهة تسقطهم من أعين الناس .

والصحابة هم خيرة الخلق و أرفع من حملتهم الأرض بعد الأنبياء يكفيهم أن الله أنزل فى حقهم ما لم ينزله على قوم قبلهم فقد قال :

« لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » وقال :

« محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » ،

و قال فيهم رسول الله ﷺ « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم » .

و الصحابة عدول معدلون بكتاب الله و سنة رسوله يشهد لهم الأعداء و الأصدقاء بعلو منزلتهم و رفعة مكانتهم و سمو أخلاقهم . .

و الادعاء بأنهم خرجوا للدنيا بنسف دينهم تماماً ، فان من قاتل لغير الله لم يمت شهيداً ، و عندما سئل الرسول ﷺ عن الرجل يقاتل رياء و شجاعة وحمية أيها فى سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو سبيل الله . . و بذلك نفى كل أسباب الحرب لغير الله .

فمن مات لغير الله مات ميتة جاهلية و العياذ بالله .

« يتبع »

عبد الرحمن الكواكبي : حياته ونضاله وأفكاره

١٨٥٣ — ١٩٠٢

هنا رجل الدنيا ، هنا مهبط التقى ... هنا خير مظلوم ، هنا خير كاتب
قفوا ، واقرءوا أم الكتاب وسلموا ... عليه ، فهذا القبر قبر الكواكبي

« حافظ ابراهيم »

شخصية سورية ، ذات سمعة طيبة . ناضلت من أجل الشعب المظلوم . وكافحت من أجل البلاد المظلومة ، شخصية لا يمكن للشعب العربي أن ينساها ، فان الكواكبي قام خلال أيام حياته ؛ بجهود متواصلة لمقاومة الاستبداد و الظلم و الفقر و الجهل ، و الرشوة و الفساد ، إنه وقف موقف القائد ، البطل الباسل . دون أن يخاف عواقب نشاطاته وأعماله . جاهد و جاهد حتى آخر لحظة من حياته .

ولد عبد الرحمن الكواكبي عام ١٨٥٤ في حلب . إحدى مدن سوريا ؛ و كان أبوه أحمد بك ، الذى كان مدرساً في الجامع الأموى بدمشق ، و قد عرف والده بالتقوى ، و كان أميناً للفتوى في حلب . أما أمه فانها كانت من إنطاكية ، و لكنها توفيت سنة ١٨٥٨ عندما كان الكواكبي في طفولته .

فأخذت صفية - خالته - تربيته على عاتقها ، و قامت بأدائها أحسن قيام ، و التحق الكواكبي بمدرسة انطاكية ، حفظ فيها شيئاً من

القرآن العظيم ، و تعلم اللغة التركية اللغة التى كانت سائدة فى ذلك الحين .

و قد عاد السيد الكواكبي إلى وطنه من انطاكية ، فى عام ١٨٦٤ و دخل المدرسة الكواكبية التى كان والده يديرها و يدرس فيها ، فقرأ عليه مبادىء العلوم العربية و الدينية . كما أنه قرأ على بعض المدرسين الآخرين كالشيخ عبد القادر ، و الشيخ محمد على الكحيل .

وإلى جانب هذه العلوم ، تدرس الكواكبي علوما عصرية ، وأتقن خلال تلك الأيام اللغتين ، التركية و الفارسية : كما أنه قرأ عدداً من الكتب العلمية و الاجتماعية ، و طالع الصحف و الجرائد حتى اضطلع بفنون السياسة و الأدب والتاريخ . و لو لم يكن الكواكبي شاعراً . فانه قد حفظ ألوف الأبيات المختارة من الغزل والرثاء ، و المدح والهجاء .

و عندما بلغ الكواكبي الثانية و العشرين من عمره ، أصدر أول جريدة سياسية ، سماها « الشهباء » ، و لكنه لم يستطع إصدارها لمدة طويلة ، فان الحكومة ، قد منعته من إصدار الجريدة لطابعها الخاص ، لأنه قد دعا فى مقالاتها إلى الحرية ومحاربة الظلم و الاستبداد . و لكنه أصدر رغماً عن كل ذلك ، جريدة أخرى سماها « الاعتدال » ، و كانت هذه الجريدة تصدر باللغتين ، العربية و التركية . و لكن مصير هذه الجريدة كان نفس المصير الذى لاقته جريدته الأولى .

الواقع ، أن اصطدامه بالولاة و السلطان عبد الحميد كان قاسياً ، فان الكواكبي لم يقف عند حد . ولم يشاؤوا هم أن يتجاوز الكاتب الكبير حدودهم المزعومة ، واشتدت الخلافات بينه وبين الولاة من حين لآخر ،

حتى إنه اتهم ؛ مرة بالتآمر ، و ألقى به فى السجن ، مع عـدد آخر من شخصيات بارزة فى حلب ، و حوكم الكواكبي بتهمة تحريضه على قتل وال من الولاة و لكن المحكمة قد قضت ببراءته فأطلق سراحه و عزل الوالى .

كذلك نشب خلاف بينه و بين الوالى عارف باشا ، و اتهم بأنه يسعى إلى تأليف جمعية ضد الدولة فقبض عليـه وفتش مكتبه و منزله وصودرت أوراقه بزعم أنها وجهت إلى قناصل الدول الأجنبية لتخليص البلاد من المظالم ، بيد أن المحكمة لم تقتنع بالشواهد الكاذبة و قضت ببراءته .

فلما يئس الكواكبي من هذه الأحوال الفاسدة ، توجه إلى مصر فى ظروف غامضة ، فانه أعلن تأهبه للسفر إلى المدينة الجديدة التى وظف فيها ، وكان آنذاك نائباً شرعياً فى إحدى ولايات سوريا ، و لكنه لم يسافر إلى ذلك المكان . بل توجه إلى مصر ومعه كاظم أحد أنجاله .

وصل الكواكبي إلى مصر عام ١٨٩٩ حيث نشر كتابيه العظيمين « أم القرى » و « طبائع الاستبداد » ثم بدأ من هناك رحلاته فى الخارج زار خلالها أفريقيا و آسيا ، و عاد بعد رحلاته إلى مصر حيث أقام إلى آخر رمقه من الحياة .

وقد وصف ابنه كاظم وفاته فيقول : « مساء الخميس أى ليلة الجمعة ٦ ربيع الأول ١٣٢٠هـ أى ١٤-١٥ حزيران عام ١٩٠٢ ، جلس كعادته بعدالعشاء فى مقهى يلدز قرب حديقة الأزبكية حيث كان مجتمعاً مع بعض الأدباء ، وطلب حسب عادته قهوة مرة ضمن ركوة صغيرة حيث كان يشربها

على مهل ، و بعد مكوثه مقدار نصف ساعة أحس بألم فى أمعائه فقام فى الحال و ذهب فى عربة حنطور إلى الدار ، و بعـد وصوله بلحظة قصيرة بدأ يستفرغ ، و قد دام الألم والاستفراغ حتى قرب نصف الليل فطلب منى الاسراع باستدعاء الطبيب ، و لم أكد أعد و بصحبتى الطبيب حتى وجدته قدمات » .

إن أخلاق الكواكبي كانت مثاليـة ، فانه كان صادقاً فى أقواله ومستقيماً فى أعماله يعامل مع أصدقائه معاملة حسنة ، ويحارب أعداءه ، محاربة أشراف ، فانه يرى مع تمسكه بالاسلام كل شخص ، مسلماً كان أو مسيحياً أو يهودياً بعين انسانية ، وكانت روابطه مع جميع الأشخاص ودية و وثيقة .

و عنـدما شب الكواكبي ، و لمس الأمراض التى كانت تعانيها أمته ، عزم على إزالتها قدر ما أمكن له فى تلك الظروف ، فأخذ القلم و جعل يكتب دون النظر إلى العواقب ، بسجن أو يقتل أو ينفى ، وقف كجلمود صخر ، لا يتزعزع و لا يهتز .

و عندما أمسك بالقلم ، جعل نصب عينيه الشعب : فتكلم بلغته . العلماء : فتكلم بلغتهم ، المستبدين : فتكلم بلغة لاذعة صريحة ، الأجداد : فتكلم بمحاسنهم . والشرق : فتكلم بعظمته ، الوطن : فتكلم بحبه ، الدين : فتكلم بما أضر به الجاهلون :

فيقول الكواكبي مثلا عن الحكومة المستبدة : « الحكومة المستبدة تكون طبعاً مستبدة فى كل فروعها من المستبد الأعظم إلى الشرطى إلى الفراش إلى كنـاس الشوارع ، و لا يكون كل صنف إلا من أسفل

أهل طبقته أخلاقاً . لأن الأسافل لا يهمهم جلب منفعة الناس . إنما غاية مسعاهم اكتساب ثقة المستبد فيهم بأنهم على شاكلته ، و أنصار لدولته ، و شرهون لأكل السقطات من ذبيحة الأمة ، و بهذا يأمنهم و يأمنونه فيشاركهم و يشاركونه »

و يقول : « المستبد يتجاوز الحد لأنه لا يرى حاجزاً ، فلو رأى الظالم على جنب المظلوم سيفاً لما أقدم على الظلم ، كما قيل : الاستعداد للحرب يمنع الحرب »

و يضيف بقوله : « المستبد انسان ، و الانسان أكثر ما يألف الغنم و الكلاب ، فالمستبد يود أن تكون رعيته كالغنم درآ و طاعة ، و كالكلاب تدللا و تملقاً ، و على الرعية أن تكون كالخيل ، إن خدمت خدمت وإن ضربت شرست : بل عليها أن تعرف مقامها ، هل خلقت خادمة للمستبد ، أم هى جاءت به ليخدمها فاستخدمها »

و تحدث الكواكبى عن عنت و اضطهاد فيقول : « إن الاستبداد و العلم ضدان متغالبان ، فكل ادارة مستبدة تسعى جهدها فى إطفاء نور العلم و حصر الرعية فى حالك الجهل ، وكذلك العلماء الذين ينبتون فى مضايق صخور الاستبداد يسعون جهدهم فى تنوير أفكار الناس .

و الغالب أن رجال الاستبداد يطاردون رجال العلم و ينكلون بهم فالسعيد منهم من يتمكن من مهاجرة دياره ، و هذا سبب أن كل الأنبياء العظام عليهم الصلاة و السلام ، وأكثر العلماء الأعلام والأدباء النبلاء تقلبوا فى البلاد و ماتوا غرباء »

إن الكواكبى قد آمن بالجهود المتواصلة ، و أعتقد أن مثل هذه

الجهود لابد وأن تؤتى ثمارها ولو استغرقت الجهود سنين طوالا . ففى هذا السبيل ، يقول : « إن الفرد قد يفنى قبل أن يتم الاصلاح . و قبل أن تنتشر الدعوة و يعم الرأى ، و ليس معنى هذا أن ييأس الفرد و يقعد عن طلبه الاصلاح ، إن عليه أن يسعى ، وليس من حقه أن يدرك النتائج ، فتلك سنة الحياة ، و هذه نواميس الكون ، يجب أن يكون أمله أقوى من كل شئ ، أقوى من العقبات و الصعاب ، و يجب أن يؤمن بأن اليقظة العقلية فى الشعب كفيلة وحدها بأن تحقق الاصلاح »

و هذه الكلمة التى أفضى بها الكواكبى ستكون خالدة :

« كلمات حق و صيحة فى واد ، إن ذهبت اليوم مع الريح لقد تذهب غداً بالأوتاد »

« يتبع »

بقية صفحة ٩٦

و الحقيقة أن الذين يعذبون المسلمين مثل هيلاسلاسى ، و يحرزون أنفسهم أن يصيبهم نوع من الأذى ، لدليل واضح على مدى حرمان المسلمين من نعم الله ، و أى شئ أكبر ايقاظاً لشعور المسلمين مما حل فى قبرص ، و فلسطين ، و روسيا الشمالية ، و تركيا ، و موزنبيق من ألوان العذاب ، و لا شك أن القوة كامنة فى العمل بشريعة الله و التمسك بتعاليمه .

• الأدب سلاح من صميم الحياة، إنه يصور ما فى هذه الحياة من أفراح و أتراح وآلام وأحلام، إنه يهز أوتار القلوب و يوقظ المؤهلات النائمة و يلهب الجذوة الكامنة . إنه يبنى ويهدم ويصلح ويفسد ويصدق ويكذب، فليكن هذا السلاح فى

فى رياض الشعر والأدب

أيدى المؤمنين الأبرار الأطهار أولى الأيدى والأبصار، يضعونه فى خدمة الدعوة يلعب دوره العظيم بين الآداب الجاهلية الجنسية المحترقة التى طغت فى البلاد فأكثرت فيها الفساد .

الدين و الفن فى القصة

الأستاذ سيد قطب الشهيد

إن خضوع القصة للغرض الدينى ، لم يمنع بروز الخصائص الفنية فى عرضها ، فالآن نقول : إنه كان من أثر هذا الخضوع بروز خصائص فنية بعينها ؛ تحسب فى الرصيد الفنى للقصة فى عالم الفنون الطليق ، وتصدق ما قلناه فى أول هذا الفصل من أن القرآن « يجعل الجمال الفنى أداة مقصودة للتأثير الوجدانى ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية ، بلغة الجمال الفنية » .

ونحن نستعرض فيما يلى هذه الخصائص الفنية التى نسميها « مظاهر التنسيق الفنى فى القصة » .

• • •

١ — كان من أغراض القصة فى القرآن إثبات وحدة الاله ، و وحدة الدين ، و وحدة الرسل ، و وحدة طرائق الدعوة ، و وحدة المصير الذى يلقاه المكذبون ، على نحو ما بينا فى أول هذا الفصل .

فنشأ عن خضوع القصة لهذه الأغراض أن يعرض شريط الأنبياء و الرسل الداعين إلى الايمان بدين واحد ، والانسانية المكذبة بهذا الدين الواحد ، مرات متعددة بتعدد هذه الأغراض ، وأن ينشئ هذا

ظاهرة التكرار فى بعض المواضع ، و لكن هذا أنشأ جمالا فنياً من ناحية أخرى ، ذلك أن عرض هذا الشريط يخيل للتأمل أنه نبي واحد و أنها إنسانية واحدة على تطاول الأزمان و الآماد : كل نبي يمر و هو يقول كلمته الهادية ، فتكذبه هذه الانسانية الضالة ، ثم يمضى ، و يجىء تاليه فيقول الكلمة ذاتها و يمضى و هكذا . . .

« لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ، فقال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قال الملأ من قومه : إنا لنراك فى ضلال مبين . قال : يا قوم ليس بي ضلالة ؛ ولكنى رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربى و أنصح لكم ، و أعلم من الله ما لا تعلمون . أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ، و لتتقوا و لعلكم ترحمون ؟ فكذبوه ، فأنجيناه و الذين معه فى الفلك ، و أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ؛ إنهم كانوا قوماً عمين .

« و إلى عاد أخاهم هوداً ، قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، أفلا تتقون ؟ قال الملأ الذين كفروا من قومه : إنا لنراك فى سفاهة ، و إنا لنظنك من الكاذبين ، قال : يا قوم ليس بي سفاهة ، و لكنى رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربى ، و أنا لكم ناصح أمين ، أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ؟ و اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد نوح ، وزادكم فى الخلق بسطة ، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ، قالوا : أجئتنا لنعبد الله وحده ، و نذر ما كان يعبد آباؤنا ؟ فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ، قال : قد وقع عليكم من ربكم رجس و غضب ، أتجادلوننى فى أسماء

سميتموها أنتم و آباؤكم ما نزل الله بها من سلطان ؟ فانتظروا إنى معكم من المنتظرين ، فأنجيناه و الذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا ، و ما كانوا مؤمنين .

« و إلى ثمود أخاهم صالحاً ، قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم : هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل فى أرض الله ، و لا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم . و اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ، و بوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً ، وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولاتعثوا فى الأرض مفسدين ، قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا - لمن آمن منهم - : أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه ؟ قالوا : إنا بما أرسل به مؤمنون ، قال الذين استكبروا : إنا بالذى آمنتم به كافرون ، فعقروا الناقة ، و عتوا عن أمر ربهم ، و قالوا : يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين ، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين » إلخ .

وكلما تكرر هذا الاستعراض كان هناك مجال لتملى هذا الشريط ؛ الذى يقف مرة عند كل نبي ، ثم يمضى فى عرضه مطرداً . . . حتى يقف محمد أمام كفار قريش ، فاذا هو يقول تلك القولة الواحدة . وإذا هم يردون ذلك الرد المكرور . وفى تأمل الشريط على هذا النحو جمال فنى أكيد .

• • •

« ب » وكان من آثار خضوع القصة للغرض الدينى أن تعرض

منها الحلقات التى تقتضيها هذه الأغراض ، و قد نشأ عن هذا ما يشبه أن يكون نظاماً عاماً ، ذلك أن آخر حلقة تعرض - بحسب ترتيب السور - تتفق مع أظهر غرض دينى صيغت القصة من أجله . وفى الوقت ذاته يتفق هذا الختام مع الأصول الفنية ، ويبدو كأنه ختام فنى لذاته ، لا للغرض الدينى من ورائه .

و قد لاحظنا من قبل فى قصة موسى أن آخر ذكر لها يرد فى سورة المائدة ، و الحلقة التى تعرض فيها هى حلقة التيه ، فهؤلاء بنو إسرائيل قد أغدق الله عليهم نعمته ، و أملى لهم فى رحمته ؛ ثم ها هم أولاء فى النهاية لا يحافظون على النعمة ، و لا يدخلون الأرض المقدسة ، و قد جهد موسى ما جهد لردهم إليها ، فيكون تأديبهم على هذا المطال ، تركهم فى التيه لا مرشد لهم و لا معين ، حتى يأتى الأجل المعلوم .

ذلك غرض دينى بحت . و لكن ترى كان هناك ختام فنى أجمل من مشهد التيه ، فى نهاية ذلك الجهد الجهيد ، و بعد ذلك التردد الشديد ؟ إن مشهد التيه هو المشهد الفنى الأنسب ، لو كانت القصة مطلقة من جميع القيود .

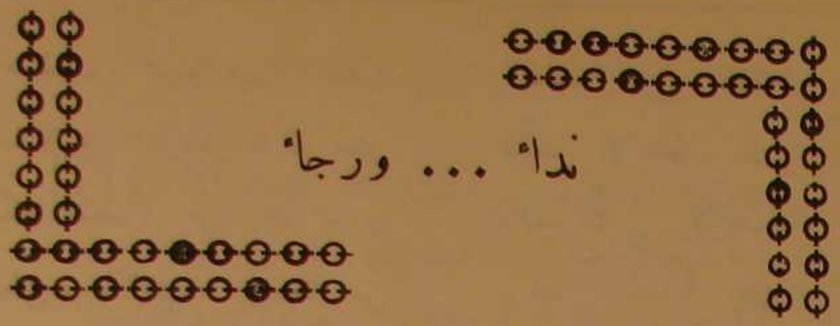

نداء ... ورجاء

الأخ سالم باكون

أدعوك يا رباه باسمك ذى السنا — و بمحكم القرآن و الآيات
يا من إليه المبتدا . . . والمنتهى — يا مخرج الأحيا من الأموات
أنت المعيد و أنت جبار السما — وجهت يا ربى إليك شكاتى
يا رب أدركنا فقد خاب الرجا — لم يبق غيرك يا على الذات

■ ■ ■

يارب حكمك -ما نجادل فى القضا- — عدل و لكن نطلب الرحمات
يا رب .. إنك ما ظلمت و إنما — ظلم الذين تجاوزوا الآيات
الحاكمون بغير هدى المصطفى — و التابعون لأرذل الشهوات
الفاسدون المفسدون من الورى — خلف أضاعوا الحق والصلوات
المدعون عدالة محض افترا — والعدل -لو يدرون- فى الزكوات
السائمون شعوبهم سؤ الأذى — قتلا و تشريداً . . بلا علات
السافكون دماء إخوان جرى — ظلماً بكل مهند و قناة
الخانعون الهاربون لدى الوغى — لكنهم فى السلم أسد شراة
هم ضيعوا الأرض وقالوا فى الملا: — « النصر معقود بذى الرايات »

■ ■ ■

يامسلمون .. تنبهوا من ذا الكرى — وتيقظوا من غفلة و سبات
يكفيكم من نومكم ما قد مضى — فالنصر لا يعطى لذى نومات
لكنما المنصور من جد السرى — والنصر آت لا محالة آت
بالحق ، بالايمان ، يجمعنا التقى — و الله يأمرنا بحق تقاة
بالدين بالاسلام تشتد العرى — و بغيره نغدو بشر شتات
فيه الأخوة و الشجاعة و الهدى — ما هن فى عرق و قوميات
من كان يرجو عزة فوق السهى — فليعتصم بالله لا السفيات

■ ■ ■

ياقوم .. أحياءاً أراكم أم أرى — أشباح أموات وطيف رفات
ياقوم .. من يبغى السعادة والهنا — فليرخص الأرواح فى الساحات
لا يبلغ المجد سوى سيل الدما — و به تنال أرفع الدرجات
لا يرجع الحق السليب إذا مضى — إلا الجهاد صادق النبات
الله أكبر .. وهو حسبي .. وكفى — لله محياى و فيه مماتى
و صلاتنا تترى على خير الورى — و الآل و الأصحاب خير هداة

● العالم الاسلامى أسرة هذه الفئة المؤمنة المنتشرة فى الكرة الأرضية كلها وهبت نفسها لله وآمنت بوعده ، و صدقت بكلماته و وضعت مكاسبها و مواهبها و مؤهلاتها فى سبيل الدعوة ، فتلاشت لديها كل هذه الفروق و الفواصل و الحدود والقيود و الألوان والأوطان ، التى يتغنى بها أهل هذا الزمان ، ملة أبيكم

العالم الإسلامي

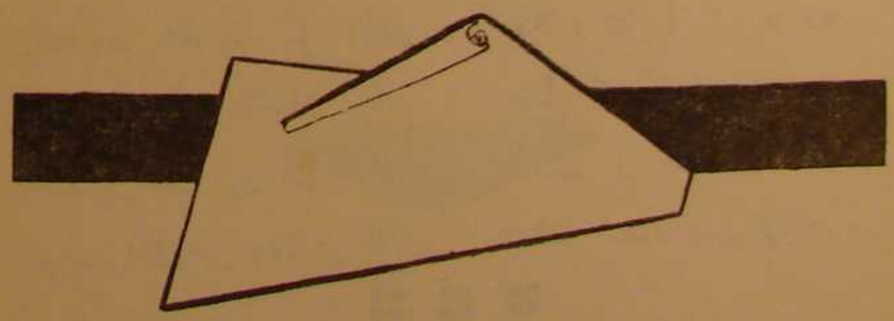

إبراهيم هو سماكم المسلمين ، يلتقى فيها العربى مع الأخ الهندى والباكستانى والأفغانى والتركى والاندونيسى ، يشارك بعضه بعضاً فى آلامه و مسراته و شدته ورخائه ، ويشد ازر أخيه فى مشكلاته وأزماته امتثالا لأمر الله تعالى ، والمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

حول محنة المسلمين فى الحبشة

الأستاذ محمـــد يونس

تعريب : إقبـال الأعظمى الندوى

إنى لأشعر فى نفسى بحاجة ملحة إلى رفع الصوت بحكم العقيـــدة و الأخلاق ضد أوامر أصدرتها بعض الدول لتوجيه الدعوة الرسمية إلى امبراطور ايثوبيا لزيارة بلدانها ، إن هيلاسلاسى يتحكم بلداً يأبى حقوق أغلبيه المسلمين الأساسية و الانسانية ، و عم فيـه الاضطهاد و الفظـائع والاعتداءات عليهم ، وذلك لأنهم يؤمنون بالله وحـده ، و لو أضيف إلى الفظائع التى يعانى منها مسلمو ايثوبيا قصة ضغط أهل ارتيريا وصوماليا لتمثلت لنـا صورة موحدة للطاقة الأفريقيـــة ، يترأى فيها هيلاسلاسى متنكراً فى زى الشيطان .

و مما يبعث على الاستغراب أن الصحافة الغربية و الأمم المتحدة لم تنبس بكلمة واحدة حول هذه الفظـائع ، و لم ترفع صوتاً ضد هذه هذه المظالم الوحشية ، بل سكتت كأنها لم يحدث أى حادث له أهميـة . و الحقيقـة التى لا تنسى أن هيلاسلاسى « غلام مدلل » للغرب ، وإن الصحافـــة التى قامت برفع الأصوات و العويل للقضاء على الثورة التى

أثارها التبشير المسيحى فى السودان الجنوبيـة ، هى التى خرست عن نطق كلمة واحدة على اعتداءات هيلاسلاسى البربرية مع أن الأمر فى أمس حاجة إلى رفع الأصوات ، و تنظيم الاحتجاجات ضد جرائمه الوحشية .

يندر وجود جالية فى العالم كله ابتليت بمثل هذه الأوضاع المؤلمة التى يواجهها مسلمو ايثوبيا الذين يبلغ عددهم اثنى عشر مليونا ، والذين أذعنوا لخطة دبرتها الحكومة المسيحية للقضاء عليهم ثقافياً ومادياً . والنكبات التى يعانيها الأغلبية فى روديسيا وجنوب أفريقيا السوداء هى أهون بالنسبة إلى الاعتداءات البهيمية ، و المظالم الوحشية التى يلاقيها مسلمو ايثوبيـا البائسون ، مغلولو الأيدى ، التائهون على رؤوسهم

إن إيثوبيا أسوء مثال لهـــذا القرن فى الفظائع و ألوان العـذاب الوحشية و البربرية . فان المسلمين يعيشون فيها عيشة بؤس وشقاء وفقر و عذاب ، و قد افترستهم العبودية الاقتصادية والعصبية الدينية . والحقيقة التى لامرية فيها أن بلد بلال رضى الله عنه تحول الآن إلى أندلس أخرى ، و أدهى من ذلك و أمر أن البلدان العربيـــة الاسلامية لا يحزها ألم و لا قلق على مصير هؤلاء البؤساء الأشقياء و إنما زاد الطين بلة أن « الأسد الصهيونى » له روابط ودية قوية مع زعماء البلدان الاسلامية فى أفريقيا و آسيا . و قد زار البلدان العربية فى العام الماضى لاثبات أنه صديقها الحميم . و هو آلة قوية لمخطط الصهيونيـــة فى أفريقيـا ؛ و قد قال الله تعالى فى القرآن : « ومن يتولهم منكم فانه منهم »

البقية على صفحة ٨٧

أخبار اجتماعية وثقافية

فى ٢٠-٢١ من شهر ابريل ١٩٦٨م اجتمع أعضاء المجلس التأسيسى للمجلس الاستشارى الاسلامى المركزى فى لكهنؤ للتفكير فى المشكلات التى حدثت فى البلاد و البحث فى القضايا التى يواجهها المسلمون بصفة خاصة فى الوقت الحاضر ، و ماجد فى الوطن الهندى من عناصر هدامة تحاول القضاء على الجالية الاسلامية الكبرى ، و الابادة العنصرية ، و ذلك بتدبير المخططات السرية لقتل المسلمين و نهبهم و إحراق بيوتهم ومتاجرهم باسم الاضطرابات .

هذا و قد عقد المجلس الاستشارى الاسلامى حفلا عاما مساء ٢٠ من ابريل ١٩٦٨م فى مبنى (باره درى) التاريخى حيث اجتمع حشد عظيم من الجماهير ، و ألقى فيه عدد من أعضاء المجلس التأسيسى كلمانهم حول الأخطار المحدقة بالبلاد و المشكلات التى تواجه الشعب المسلم ، و أعمال العنف و الارهاب التى يقوم بها الأحزاب المتطرفة و العناصر الفسطائية لتحطيم الجهود المخلصة التى تبذل فى سبيل إعادة الأمن إلى الأرواح البريئة و المظلومين .

و قد أعرب المحاضرون عن وجهة نظر المسلمين السياسية أمام الجماهير وحثهم على نشر الوعى السياسى الصحيح ودافع الاتحاد القومى ، والثقة بالنفس فى الناس ، وكان لكلمة سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى عضو المجلس التأسيسى المركزى وقع كبير فى النفوس ،

فقد صرح فيها الأستاذ بالخطر المحدق بالوطن الهندى و الأغراض التى يستهدفها الطائفيون المتطرفون وراء المجاز الرهيبة التى تقام حيناً لآخر فى طول البلاد و عرضها ، إنه قال :

« إن الطائفية التى تسود على البلاد اليوم نذير خطر كبير للقضاء على شخصية الوطن الهندى ، و يبدو أن البلاد على شفا جرف هار . إن الأوضاع الراهنة شديدة على المسلمين و لا شك ، و لكن لا يعنى ذلك أن تدور فى خلدهم فكرة مغادرة الوطن إلى أى وطن آخر ، بل ويحتم ذلك عليهم أن يقاوموا الظروف المعارضة مقاومة قوية ، و لا ييئسوا من رحمة الله .

و قال : إنه لا مبرر لتدمير الضياع و إلحاق الخسائر بالأموال و الأرواح مادامت هى ضياع البلاد و أموال أهلها و أرواحهم ، إن ذلك نوع من الجنون الشديد الذى قد يدنى البلاد إلى الدمار ويسبب لها نهاية أليمة .

و استطرد قائلا : إن هناك سببين لهذه المجازر و الاضطرابات الدموية ، أحدهما عداء شديد مع المسلمين ، والثانى شراهة المال وهوس ابتزاز الثروة ، و المعلوم أن هذا الأسلوب من التفكير يسيئ إلى سمعة البلاد و الحكومة إساءة كبيرة فى المصاف الدولى .

إنه دعا المسلمين إلى تشجيعهم و تجديد عزائمهم لمقاومة النزعات الفاسدة و العناصر الهدامة المتطرفة ، و قال إن الأقلية وحدها لا تستطيع أن تطفئ هذه النار ما لم تشاركها الأغلبية فى قمع الأيدى المجرمة ، سواء كانت هذه الأيدى للحكام أو الجماهير .

وألقى فضيلة الشيخ المفتى عتيق الرحمن العثمانى كلمة تحدث فيها عن وضع البلاد الحاضر ، و أشار إلى أسباب الاضطرابات و علاجها ، ودعا إلى الاتحاد على كلمة واحدة ، و انتقد الاتجاهات المتعسفة المتطرفة ، كما انتقد الذين يعارضون برامج المجلس الاستشارى الاسلامى ، ويتهمونه باقترافات و تهم لا تمت إلى أساس و قال : لو أن هذا المجلس كان ذا تأثير أعمق و قوة أكثر لاضطرت الحكومة إلى الاهتمام بمطالباته و الاصغاء إلى حديث أعضائه .

و قد تحدث من الأعضاء الأستاذ مظهر إمام ، و الأستاذ إبراهيم سليمان سيت ، و ملا جان محمد ، و الأستاذ محمد اسماعيل عضو البرلمان الهندى .

و قد اتخذ المجلس التأسيسى المركزى فى جلسته الخاصة قرارات حول سياسة المجلس الأساسية ، و الاضطرابات الطائفيه الدموية وتوحيد الصفوف بين المسلمين .

● انفجر بركان الاضطرابات الطائفية فى مدينة منكلور فى جنوب الهند ، حيث أحرقت المساجد و المتاجر ، و أصيب المسلمون بخسائر فادحة ، شأنهم فى كل اضطراب ، كما أن أوار الاضطرابات لم يهدأ إلى الآن فى مدينة إله آباد رغم مرور أكثر من شهر و نصف عليها . و الحكومة منحمسة فى اتخاذ التدابير اللازمة لحسم الطائفة من البلاد وقمع العناصر المفسدة و كبت المجرمين الذين يرسمون خطط الاضطرابات و يحيكون خيوطها فى الظلام .